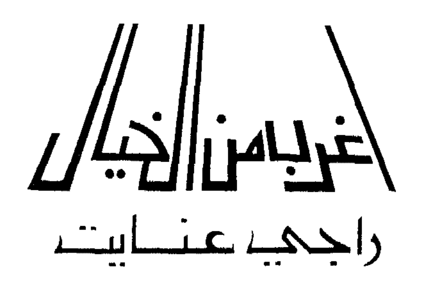


راجي عنايت

الخروج من الجسد

دار الشروق

الخروج
من الجسد

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

الطبعة الثالثة

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٢٤٥٧٨ - ٣٩٢٤٨١٤

برقيا شـروق - تلكس 93091 SHROK UN

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

برقيا داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

صمم الغلاف : الفنان حلمى التونى

هذه السلسلة

ظلّ العلم لزمن طويل يتجنّب الاقتراب من معظم الظواهر الخارقة الغريبة التى تتكرّر فى حياتنا ، ومن حولنا . و العلماء الروّاد القلائل الذين حاولوا التصدّى لبعض هذه الظواهر ، صادفوا من الهجوم والسخرية والتسفيه ، ما أقنع باقى العلماء بعدم محاولة الاقتراب من ذلك التيه الحافل بالمخاطر .

وهكذا ، تراكمت الخرافات حول هذه الظواهر ، جيلاً بعد جيل ، ممّا جعل مهمّة الباحث المحقّق أكثر صعوبة . . . أصبح عليه أن يعثر على الحقيقة الضائعة ، كالإبرة وسط أكوام القشّ . .

لكن نصف القرن الماضى ، شهد هجمة ضارية من جانب أوساط البحث العلمى . . هجمة توغّلت بكل شجاعة ، وبكل موضوعية علمية ، فى عمق أعماق هذه الظواهر .

هذه السلسلة ، عزيزى القارئ ، تنقل إليك أحدث ما توصّل إليه البحث العلمى حول الظواهر الخارقة والغريبة ، داخلنا . . وحولنا . . ، لتؤكد أننا على أبواب عصر جديد من المعرفة الشاملة ،

تزول فيه التناقضات بين وسائل المعـرفة البشرية المـختلفة ، وتلتقى فيه أقدم العقائد البدائية مع أحدث ما تتعامل معه العقول الالكترونية .

مقدمة

فى هذا الكتاب نتعرض لظاهرة غريبة ، وحساسة فى آن واحد . .

سنحاول أن نقترب من ـ أو بمعنى أدق نلامس مجرد تلامس ـ عالم المجهول . . أو الحياة التى نمضى إليها بعد الوفاة . .

أدواتنا فى الاقتراب من هذه الحافة الحرجة ، ما جرى جمعه من روايات تفصيلية ، لأصحاب تجربة الاقتراب من الموت . . أولئك الذين ماتوا فعلاً ، بمقتضى المقاييس الاكلينيكية ، توقف ضربات القلب ، وخفوت التنفس ، وهبوط ضغط الدم ، واتساع انسان العين ، وتناقص درجة حرارة الجسم . . مرّوا بهذا كله ، ثم جرى إسعافهم بالوسائل الطبية الحديثة ، فعادوا إلى الحياة ، ليحكوا عن التجربة التى عاشوها ، خلال تلك الفترة الوجيزة ، التى لم تتجاوز بأى حال ثلث الساعة .

وأغرب ما فى هذه الروايات ، أنها تسير كلها على نفس النسق ، حتى لتكاد أن تصبح رواية واحدة متكررة . . رغم تباين جنس وعمر وصفة الشخص الذى مر بالتجربة . لقد قدم دكتور رايموند مودى فى

كتابه «الحياة بعد الحياة »، خلاصة دراسته لعدد من هذه الحالات يزيد على ١٥٠ حـالة ، تعكس كلهـا نفس التتابع تقـريبًا ، لما يجرى بعـد الوفـاة الاكلينيكية ، وكيف تتحقق فيهـا جميعًا . . ظـاهرة الخروج من الجسد .

يصل صاحب التجربـة إلى أقصى درجات الانحطاط الجسمانى ، نتيجة لمرض أو عملية جراحية أو حادث ما ، فيسمع قرار وفاته من فم الطبيب . . وترتفع أصوات أزيز مزعج تغطى على ما غيرها . . ثم يجد نفسه يندفع بسرعـةفائقة فيما يشبه النفق المظلم . . ويكتشـف بعدها أنه مـوجود خارج جسـده المادى ، فى نفس المكان الـذى يستلقى فيه البدن الميت . . يرى جسده من أعلى وعلى مسـافة منه ، ويتابع جهود الإنقاذ التى يقوم بها الطبيب .

وعندما تهدأ نفسه من الإثارة التـى سببتهاهذه التطورات المذهلة ، يتبين أن له جسمًا خاصًا يختلف فى طبيعته عن الجسم المادى الذى كان يعيش فيه طوال حياته السابقـة . . وهو فى كيانه الجديد ، يلتقى بعد ذلك بما يطلق عليه « الكـائن النورانى » ، الذى يستعرض معـه وقائع حياته السابقة ، وكأنها تعرض على شاشة بانورامية .

ومع فرحة الشخص بحياته الجديـدة هذه ، يرى العوائق والحواجز تنتصب فى مواجهته ، تمنعه من أن يمضى إلى ما هو أبعد من ذلك . . فحياته على الأرض لم تنته بعد ، وعليـه أن يعود إلى جسده . . وهكذا

تنقضى التجـربـة المثيرة ، ويضطـر إلى العـودة إلى جسـده المادى . . مستجيبًا لجهود الإنقاذ التى قام بها الطبيب . .

وإذا كنا فى هـذا الكتاب سنقتصر على حـالة خـاصة مـن حالات الخروج من الجسـد ، وهـى التى تـرتبط بـالاقتراب مـن الموت ، فإننـا سنرى فى كتـاب آخر من هـذه السلسلة ، كتـاب «الإدراك الطليق بين التخاطر والسحر واليوجـا » ، أشكالاً أخرى للخروج من الجسد ، لا تـرتبط بالموت ، لكنهـا تعتمـد على الممارسات الخاصـة ، أو حتى مجرد الإرادة .

راجى عنايت

الفصل الأول

على أبواب التجربة المثيرة

منذ بداية التاريخ البشرى . . منذ أن بدأ الإنسان يتجاوز حاجاته الحيوية المباشرة من طعام وشراب ومأوى ، محاولاً لأول مرة أن يضع الملاحظة إلى جوار الملاحظة ، ممارسًا فى حذر شديد هواية التفكير الجديدة عليه ، منذ ذلك التاريخ البعيد ، بدأ الإنسان صراعه للكشف عن آلاف المجاهيل المحيطة به . . الأمطار ، البرق والرعد ، النجوم والكواكب . . وأيضًا الموت !

مع مرور الزمن ، ومع تطور العقل البشرى ونموه ، ومع تراكم المعارف وقيام الحضارات ، بدأت هذه المجاهيل تتهاوى واحدة بعد الأخرى . استطاع العقل البشرى أن يغزوها ، ويكشف أسرارها ويمزق من فوقها رداء الرهبة والخوف فتحولت من ظواهر غامضة مرهوبة إلى معارف علمية واضحة الأصل ولم يبق مستغلقًا عليه من هذه المجاهيل سوى . . ظاهرة الموت . . وما بعد الموت .

رغم كثرة ما قيل وكتب عن هذه الظاهرة ، ورغم أننا قد لا نجد حضارة أو فلسفة أو عقيدة لم تتعرض لهذه الظاهرة بكل تفصيل وإسهاب ممكن ، رغم هذا كله ، فما زالت الظاهرة على غموضها وما

زالت حتى يومنـا هذا تبعث الرهبة فى نفس الإنسـان ، مهما أظهر من عدم المبالاة .

والعلم ، حتى يومنا هذا ، لم ينته إلى تعـريف جامع شامل لظاهرة الموت . مـــا زالت بعض المدارس الطبيـــة تكتفى بـــدلالات الموت الاكلينكيـة ، مثل توقف ضربـات القلب ، وخفـوف التنفس لفترات طـويلة ، وانخفـاض ضغط الدم ، واتسـاع إنسان العين ، وتنـاقص درجـة حرارة الجسم . لكن بعض المدارس الحديثـة لم تعد تأخـذ بهذه الدلالات ، أو تكتفى بها للحكم على مـوت الإنسان ، بل تعتمد على جهاز الالكترو انسيفالو جراف الذى يطلق عليه اختصارًا رمز « اى . أى . جى » ، وهو جهاز يقيس الطاقة الكهـربائية الدقيقة المنبعثة من المخ . هـذه المدرسـة الطبيـة لا تعترف بـالموت إلا عنـدمـا يشير ذلك الجهاز إلى توقـف أى نشاط كهربـائى فـى المخ . وبعـض الـمدارس لا تعترف بأى من وجهتى النظر السـابقتين ، ولا تعتبر الإنسان ميتًا ، إلا عندما تفشل كافة وسـائل الإنعاش والإحياء الطبية الحديثة ، مثل الصدمات الكهربائية على الصدر ، أو حقن الادرينالين فى القلب . . إلى آخر هذه الوسائل .

بين النظريات المختلفة للمـوت ، تنشأ مساحة من الزمن ، يمكن أن تطلق عليها مرحلة «الاقتراب من الموت » . هذه المرحلة قد تمتد فى بعض الحالات إلى عشرين دقيقة . بين إعلان الإنسـان ميتًا بالمقاييس

الاكلينيكية ، وبين لحظة إسعافه وإنعاشه بالوسائل الطبية الحديثة . حول هذه المرحلة استطاع دكتور رايموند مودى أن يركز أبحاثه . من خلال هذه الأبحاث توصل دكتور مودى ـ لأول مرة بأسلوب علمى ـ إلى إلقاء نظرة خاطفة على دنيا المجهول . . عالم الموت وما بعد الموت . وجمع دراسته هذه فى كتاب ظهر حديثًا ، سماه «الحياة بعد الحياة » ، ضمنه التقارير التى سجلها لعشرات من البشر ، تم إعلان موتهم طبيًا ، ثم أمكن إسعافهم بالوسائل الحديثة . ماذا شعروا عندما حدثت الوفاة ، وكيف خرجوا من جسدهم المادى ، ليحلقوا فى الفضاء حوله ، ينظرون إلى جسدهم ممددًا على السرير ، أو فى موقع الحادث الذى سبب الوفاة ، يتابعون مجهودات الإنعاش التى يقوم بها الأطباء ، من موقع قريب من سقف الحجرة ، وما هى طبيعة الكيان الجديد الذى وجدوا أنفسهم فيه ، وكيف عادوا إلى أجسامهم المادية عندما نجح الأطباء فى مهمتهم ؟

درس الطب بعد الفلسفة

وقبل أن أبدأ عرض الحقائق المذهلة التى يوردها دكتور مودى فى كتابه أقول إن دكتور رايموند مودى درس الفلسفة فى جامعة فرجينيا ، وحصل فيها على درجة الدكتوراه . وقد تخصص فى الأخلاق والمنطق وفلسفة اللغة . وبعد تدريس الفلسفة لمدة ثلاث سنوات فى جامعة

شمال كارولينا ، قرر أن يدرس الطب معتزمًا العمل كطبيب نفسى . وهو حاليًا يدرس فلسفة الطب فى إحدى الكليات .

وفى عام ١٩٦٥ ، عندما كان رايموند مودى يدرس الفلسفة فى جامعة فرجينيا ، تعرف على أستاذ الطب النفسى فى كلية الطب . انبهر منذ البداية بشخصية ذلك الأستاذ ، بما تعكسه من دفء ورقة ومرح . وكانت دهشته كبيرة عندما علم بعد ذلك ، أن ذلك الأستاذ مر بتجربة الموت ، فى حادثين مختلفين . عندما استمع مودى إلى رواية الأستاذ حول تجربة الاقتراب من الموت ، كما كان يرويها لمجموعة من طلبته أثارت القصة اهتمامه الكبير، فحرص على تسجيلها . ولكن لما كانت معلوماته حول هذا الموضوع وبخاصة من الناحية العلمية ـ فى ذلك الوقت ـ لا تسمح له بفحص دلالات رواية الأستاذ ، فقد احتفظ بالتسجيل دون أن يعود إليه مرة ثانية .

بعد سنوات ، عندما انتهى دكتور مودى من رسالة الدكتوراه فى الفلسفة ، وكان وقتها يعطى دروسًا فى جامعة شمال كارولينا ، ألقى محاضرة عن «فيدو » لأفلاطون ، التى تتناول ضمن موضوعات أخرى مسألة الخلود . وبعد انتهاء المحاضرة توقف أحد الطلاب ، طامعًا فى مناقشة خاصة مع الدكتور مودى حول موضوع الخلود . كان مصدر اهتمام الطالب بالموضوع أن جَدته كانت قد مرت بتجربة الموت الكامل أثناء عملية جراحية ، ثم أنقذت بجهد طبى خاص . بعدها، روت

لحفيدهـا كل ما يتصل بالتجـربة المثيرة التى مرت بها . وكـانت دهشة دكتور مـودى كبيرة ، أن وجد رواية الجدة مطـابقة لروايـة أستاذ الطب النفسى التى سمعهـا منـد سنـوات تطـابقـًا كـامـلاً حتى فى أصغـر التفاصيل .

تجربة الاقتراب من الموت

منذ ذلك التاريخ بدأ دكتور مودى يركز قراءته حول هذا الموضوع ، كما بدأ يضمّن المنهج الذى يدرسه لطلبته بعض القراءات حول موضوع إعادة الحياة للبشر الذين اعتبروا ميتين من الناحيـة البيولوجية . لكنه كان حريصًا فى نفس الوقـت على عدم الإشارة إلى الروايتين اللتين كان قد سمعهما من الأستاذ ومن الطالب .

وكم كـانت دهشته ، عنـدما وجـد أن بين الطلبة الثلاثين الـذين يضمهم كل فصل دراسى يتقدم أحـد طلبة الفصل ليحكى عن تجربة الاقتراب من الموت التى حدثت له .

والذى أثـار انتباه ودهشـة دكتور مـودى أكثر من أى شـىء آخر ، مـدى التشابـه الشديـد بين الروايـات المختلفة ، بـالرغـم من أن هـذه الروايـات كان مصـدرها أنـاسًا تتبـاين خلفيـاتهم الدينيـة والاجتماعية والثقافية تباينًا شديدًا .

ومن بين ١٥٠ حـالـة ، مر أصحـابها بتجـربـة الموت الاكلينيكى

الكامل ثم تم إنقاذهم ، استطاع دكتور مودى بعد تسجيل تجربتهم ومناقشتهم فيها ، وإجراء الدراسات المقارنة بين تفاصيل مختلف الروايات رغم تشابهها الشديد ، استطاع أن يرسم صورة شبه نمطية للتجربة التى يمر بها أولئك الذين يتم إنقاذهم بالوسائل الطبية الحديثة ، بعد أن يكون قد تقررت وفاتهم من وجهةالنظر الطبية الاكلينيكية . وإليكم الآن هذه الصورة العامة ، التى استخلصها دكتور رايموند مودى من عشرات الحالات التى درسها ، قبل أن نعود لنتكلم بالتخصص عن تفاصيل الروايات المختلفة والمثيرة التى يوردها فى كتابه .

رنين وضوضاء غير سارة

شخص ما يموت ، وعندما يصل إلى أدنى درجات الانحطاط الجسمانى ، يسمع بقرار وفاته من الطبيب . ثم يبدأ فى الاستماع إلى ضوضاء غير سارة ، رنين وأزير مرتفع ، وفى نفس الوقت يشعر بنفسه يتحرك بسرعة شديدة ، داخل نفق طويل مظلم . بعد هذا يكتشف الشخص فجأة أنه موجود خارج جسمه المادى . لكنه ما زال فى نفس المكان الموجود فيه البدن . إنه الآن يرى جسمه ولكن من على بعد مسافة معينة ، كما لو كان متفرجًا عليه . ويشاهد مجهودات الإنقاذ ومحاولات الأطباء من مكانه الجديد وهو فى حالة جيشان عاطفى .

بعد قليـل ، يجمع شتات نفســه ، ويصبح أكثر تعـودًا على وضعه الجديد الغريب هذا . يلاحظ أنه موجود فى «جسم» ما . لكنه يختلف فى طبيعته عن جسمه المادى ، كما يتمتع بقدرات تختلف تمامًا عن تلك القدرات التى كان يتمتع بها الجسم الذى خرج منه .

بعـد ذلك ، تبــدأ بعض الأحـداث الجديــدة ، بعض الأقـارب والأصــدقاء والأعـزاء الذين كـانوا قـد ماتـوا من قبل ، يشعر بهم وقـد حضروا لمساعدته . ثم يظهر له كائن من نور ، يشع حبًا ودفئًا . يسأله ذلك الكــائن سـؤالاً ، ولكـن بـلا كلمات أو أصــوات ، مجرد إدراك للســؤال . ذلك السـؤال يتضمن طلبًا بـاستعـراض حياتـه السـابقـة وتقييمهـا . وفى نفس الوقت يســاعده الكـائن النورانى فى مهمتـه بأن يعرض عليه بشكل بـانورامى متواقت ، المواقف والأحـداث الأساسية فى حياته السابقه .

فى بعض الأحيان يجد الشخص نفســه عند هذه النقطة ، مـواجهًا بحاجز أو عائق ، كما لو كـان الحد الفاصل بين الحياة الأرضية والحياة الأخرى . ثـم يجد نفسه مضطـرًا إلى العودة لجسمانه ، فـالوقـت المحدد لوفاتـه لم يحن بعد . هنا ، يحاول الشخص مقاومـة العودة إلى جسده ، فهو عنـد ذلك يكون مأخوذًا بتجربـة ما بعد الحيـاة الدنيوية ولا يـريد العودة إلى حياته السابقة .

حتى فى تلك اللحظـات يجد الشخص نفســه مشحـونًا بمشـاعـر

الفرح والحب والسلام العميقة ، وبرغم هذا ، يجد نفسه بطريقة أو بأخرى يتحد بجسمه المادى ، عائدًا إلى الحياة .

فيما بعد ، يحاول ذلك الشخص أن يحكى عن تجربته للآخرين ، لكنه يواجه الكثير من المصاعب . أولاً . . لأنه لا يجد فى لغة البشر ما يساعده على تصوير تلك التجربة الفريدة بالشكل المناسب . وأيضًا لأنه يواجه سخرية الذين يحاول أن يحكى لهم عن تجربته ، فينطوى على سره ، ولا يحاول أن ينقل خبرته إلى الآخرين . . ومع هذا يظل تأثير التجربة عليه قويًا وعميقًا ، وينعكس على حياته المقبلة ، وعلى موقفه العام تجاه الموت وعلاقته بالحياة .

الفصل الثانى

الأزيز .. والنفق المظلم

يقول الـدكتور رايمـوند مودى إن أول خـاصية مشتركـة فى روايات الأشخـاص الـــذين درس حـالاتهم ، هى خـاصيـــة «تجاوز إمكـان الـوصف» أو مـا يعنى استحالـة وصف التجـربـة وصفًا دقيقـًا أمينـًا بـاستخدام اللغـة البشريـة التى تعـارفنا عليهـا . أصحـاب التجربـة يتكلمون ويتكلمون ولكنهم يختمون حـديثهم دائمًا ، بما يفيد عجزهم عن نقل ما شعروا به وشاهـدوه . ولعل مرجع ذلك إلى أن فهمنا العام للغـة ـ أى لغـة ـ يعتمـد على وجود مجتمع بشرى عـريض لـه تجارب وخبرات مشتركـة . اللفظ والتعبير فى أى لغة تقـابله خبرة مشتركـة بين أفـراد المجتمع ، تجعل من السهل على أفـراد ذلك المجتمع أن يفهمـوا المقصود بهذا اللفظ أو بذلك التعبير.

أما فى تجربةالاقتراب من الموت ، ثم العودة إلى الحياة ، فلا تدخل ضمن التجارب العامة التى يمارسها أغلب البشر ، لذا فهى تخرج عن نطـاق التجارب المشتركـة ، وهكـذا تنشأ المشكلة أمـام أولئك الـذين يحاولون التعبير عن تجربتهم أو وصفها . لهذا تكثر فى رواياتهم تعبيرات من نمط «شيء لا يمكن وصفـــه » ،«لا يمكننى التعبير عما شعـرت

بـه»، و«لا أجـد الكلمات التى تسـاعـدنى على التعبير عما أحـاول أن أقول» .

قالت إحدى النساء اللائى مررن بهذه التجربة «أمامى الآن مشكلة حقيقة ، عنـدما أحاول أن أقص عليكم مـا حدث ، ذلك لأن أغلب الكلمات التى نعرفها مستقـاة من عالمنا بأبعاده الثلاثـة الطول والعرض والارتفاع . عنـدما مـررت بهذه التجربـة كنت أفكر : عنـدما درست الهنـدسة كـانوا يقـولـون لى إن هناك ثـلاثـة أبعاد لـلأشياء . . الطـول والعـرض والارتفاع ، وكنت أقبل دائماً هـذه الحقيقـة . . أما الآن فقـد أدركت أنهم كـانوا على خطأ . . مـا شعـرت به خـلال هـذه التجربـة يتجاوز هذه الأبعاد الثلاثة .

وهذه هى المشكلة التى تواجهنى الآن عندما أحاول أن أصف لكم تجربتى ، فـالمفروض أن أستعمل كلمات مستخلصـة من عالم لـه أبعاد ثلاثـة ، لوصف عالم يتجـاوز هذه الأبعاد الثـلاثة ، لهذا يجىء وصفى دون ما شعـرت به أو رأيته ، فليس فى مقدورى أن أعطى صـورة دقيقة كاملة لما حدث » .

سماع الشخص لخبر وفاته !

أغلب أصحـاب الروايـات الـذين مـروا بهذه التجربـة ، تضمنت روايات سماع الطبيب أو الـذين حضروا الوفـاة ، يعلنون خبر الـوفاة .
قالت إحدى النساء :

«كنت بالمستشفى ، وقد عجز الأطباء عن تشخيص حالتى . فأرسلنى طبيبى دكتور جيمس إلى الطابق الأسفل حيث قسم الأشعة ، لعمل صورة أشعة لكبدى . واقتضى تصوير الكبد أن أتناول عقارًا معينًا . ولما كنت أعانى حساسية شديدة بالنسبة لعديد من العقاقير، فقد أجروا تجربة للعقار على ذراعى ، ولما اطمأنوا أعطونى جرعة العقار كاملة . بمجرد أن سرى مفعول العقار ، توقف قلبى عن الحركة . بعد هذا سمعت طبيب الأشعة وهو يتجه إلى التليفون فى أقصى الحجرة ، ثم سمعت بوضوح تام صوت إدارته لقرص التليفون ، ثم سمعته يقول : دكتور جيمس . . أخشى أن أكون قد قضيت على مريضتك السيدة مارتن . كنت أشعر أننى لم أمت بعد ، حاولت أن أتحرك ، أو أن أفعل ما يشعرهم بأننى لست ميتة ، ولكنى فشلت . كنت أسمعهم يتناقشون فى عدد السنتمترات المكعبة من مادة ما يجب أن أحقن بها .

وعندما أعطيت الحقنة ، لم أشعر بتاتًا بوخز الإبرة ، ولا شعرت بوقع أيديهم على جسدى » .

وفى رواية أخرى لسيدة كانت قد أصيبت بعدة نوبات قلبية ، أدت آخر واحدة منها إلى توقف قلبها نهائيًا ، قالت :

«فجأة . . أحسست بآلام ضاغطة تستولى على صدرى ، كما لو كان سيخًا من الحديد قد أنفذ فى وسط صدرى . سمع زوجى وبعض

الأصـدقاء صـوت ارتطامى بـالأرض ، فأسرعوا لمسـاعدتى ووجـدت نفسى وسط ظـلام دامس ، واستمعت إلى صوت زوجى وهـو يقول : يبدو أنها انتهت هذه المرة » .

ويقـول شاب وصل إلى حـالـة الموت الاكلينيكى فى حادث سيـارة «سمعت امرأة كانت موجودة قريبًا من الحادث تسأل : هل مات ؟ ثم سمعت صوت شخص آخر يقول : نعم ، لقد مات » .

وهـذه الـروايـات من جـانـب هـؤلاء الأشخـاص ، عنـدمـا تمت مـراجعتها مع الأطبـاء أو الأشخاص الـذين حضروا الـوفاة ، جـاءت مطابقـة لما حدث فعـلاً ، هذا على الـرغم من أنها كانت تقـال بعد أن توقف نبض قلب المريض ، وخفت تنفسه ومر بكل اشتراطات الوفاة . يقول أحد الأطباء :

«أُصيبت إحدى مريضاتى بنوبة قلبية ، قبل أن أقوم بإجراء جراحة لها بمساعدة زميـل جراح فحصتها فوجدت أن إنسـان العين قد اتسع «وهو مـن علامـات الوفاة » . حـاولت إسعـافها بمسـاعدة زميلى . . ولكن دون جدوى . قلت لـزميلى : دعنا نحـاول محاولة أخيرة ، فإذا لم ننجح ، تركناها . . فى هذه المحـاولة نجحنا فى إعادة النبض إلى قلبها ثم دبت الحيـاة فى جسـدها . فيما بعـد سألتهـا عما تتذكـر عن تجربـة «وفاتها» . قالت إنها لا تتذكر أشيـاء كثيرة عن التجربة ، فيما عدا أنها سمعتنى أقول : دعنا نحاول محاولة أخيرة ، فإذا لم ننجح ، تركناها » .

إحساس بالسلام والهدوء

معظم أصحاب الروايات يتحدثون عن الإحساس السار الشامل الذى مارسوه فى بداية تجربتهم بعد إعلان وفاتهم . قال أحد الرجال يصف ما حدث بعد إصابته فى حادث :

«عند وقوع الحادث ، شعرت بومضة ألم خاطفه ، ثم تلاشى الألم . وأحسست بشعور من يطير فى فضاء مظلم . كان يوم الحادث باردًا ومع هذا كنت أعوم فى تلك الظلمة شاعرًا بالدفء والراحة الكاملة التى لم أمارسها من قبل . . وأذكر أننى كنت ساعتها أقول لنفسى لابد أننى قد مت » .

وقالت إحدى النساء بعد انعاشها من نوبة قلبية قاسية :

«بدأت أشعر بأبهج المشاعر . لم أكن أشعر سوى بالسلام والراحة . . والهدوء الشامل . شعرت أننى ودعت كل متاعبى » .

وقال رجل آخر ، مر بتجربة الموت متأثرًا بجروحه فى حرب فيتنام ، يصف ما شعر به بعد إصابته بالقذيفة :

«سادنى إحساس بالتحرر . . لم تعد هناك أية آلام . لم أشعر طوال حياتى بهذا القدر من الراحة » .

الضوضاء المزعجة

فى كثير من الحالات التى درسها دكتور رايموند مودى ، لمن مروا بتجربة الموت ثم أسعفوا ، جاء ذكر إحساس صوتى غير عادى ، يشعرون به فى لحظة الوفاة . وفى بعض الحالات وصف ذلك الإحساس، بأنه غير سار إلى أبعد حد ، يصف رجل قرر الأطباء «وفاته » أثناء عملية جراحية ، ثم جرى إسعافه بعد ذلك ، يصف ذلك الإحساس الصوتى فيقول «خرج من رأسى أزير مزعج بشدة، سبب لى حالة من الضيق . . لن أنسى أبدا ذلك الصوت » . وتصف امرأة أخرى ما سمعته بعد أن فقدت وعيها «رنين أجراس مرتفع . . أقرب إلى الأزير. . جعلنى أشعر أننى أتخبط وسط دوامة » . ويتباين وصف أصحاب التجربة لذلك الصوت . . البعض يصفه بأنه أشبه بدقة عالية ، أو بصوت الرعد أو بإيقاع خبطات متكررة ، أو «بصوت أشبه بصفير الريح » .

وفى بعض الروايات يأخذ ذلك الإحساس الصوتى أشكالاً موسيقية أكثر لطفًا . وعلى سبيل المثال يقول رجل أعلنت وفاته بعد دخوله المستشفى «استمعت إلى ما يشبه رنين الأجراس البعيدة . . التى يحمل النسيم صوتها ناحيتى . . أشبه بأصوات أجراس الريح اليابانية » .

وقالت امرأة ، أعلنت وفاتها نتيجة للنزيف الشديد المصحوب

بجلطة «بدأت أسمع موسيقى سماوية . . حقيقة نمط جميل من الموسيقى» .

النفق المظلم

فى أغلب الروايات ، يصاحب الإحساس الصوتى بالضوضاء ، إحساس بالانجراف السريع الخاطف ، خلال فراغ مظلم تتباين أنواعه وأبعاده . وقد استخدمت فى الروايات عدة أوصاف لتحديد شكل ذلك الفراغ المظلم . مرة يوصف وكأنه كهف ، ومرات يوصف كبئر ، أو قناة ، أو نفق أو مدخنة أو خواء أو فضاء ، أو بالوعة ، أو إد ، أو اسطوانة . واستخدام هذه الأوصاف المتباينة ، يكشف عن عجز أصحاب هذه التجربة عن وصف دقائق ما مروا به باستخدام لغتنا العادية . وسنرى وصفًا تفصيليًا لذلك النفق المظلم فى الروايتين التاليتين :

«حدث ذلك وأنا ولد صغير فى التاسعة من عمرى ، وقد حفر فى ذاكرتى بشكل يصعب نسيانه . اشتد بى المرض عصر يوم ، فنقلونى إلى المستشفى . وعندما وصلت قرر الأطباء تخديرى . . لا أدرى لماذا . . لقد كنت فى ذلك الوقت أصغر من أن أفهم فى هذه الموضوعات وكانوا حينذاك يستخدمون الإثير فى التخدير . وضعوا قطعة نسيج مبللة بالإثير على أنفى . وكما علمت فيما بعد ، أنهم ما إن

فعـلوا ذلـك حـتى توقف قـلبى عـن النبـض .

أول ما حدث لى بعد ذلك ، وأنا أصفه هنا بالطريقة التى أحسستها وقتـذاك ، سمعت أصـوات رنين وضـوضـاء . . تـررن . . تـرررن ، تررن ، بطريقة موقعة . ثم حدث لى ما يشبه السحر ، اندفعت خلال فضاء مظلم واسع ، كان أشبه بالمدخنة الواسعة . . ليس بإمكانى أن أعطى وصفـًا دقيقـًا لما حدث ، فقط كنت أتحرك منـدفعـًا ، مع ذلك الرنين المتصل والضوضاء» .

وقال شخص آخر يصف مثل هذه التجربة :

«كانت عندى حساسية شديدة لنوع المادة المخدرة التى استخدمت معى ، فتقطعت أنفاسى ، ثم توقفت نهائيًا ، أول ما حدث لى ، وكان سريعًا حقًا ، أن أحسست بنفسى أندفع فى فراغ أسود بسرعة خرافية . كان أشبه بالنفق على ما أظن . كنت كمـن يركب قطار مدينة الملاهى الذى يندفع فى الأنفاق المظلمة بسرعة شديدة » .

وقال رجل يحكى عن التجربة التى مر بها وهو طفل ، وكان كطفل يخاف الظلام . ومع هذا عندما أصيب إصابة قاتلة فى حادث دراجة .

«كان لدى إحساس بأنى أتحرك فى واد عميق شـديد الظلام . كان الظلام على درجة كبيرة من العمق والكثافة ، بحيث لم أكن أستطيع أن أرى أى شىء ، ومع هـذا لم أخف وقـد شملنى إحسـاس بالسعـادة والفرح الطاغى . . كانت تجربة خالية من القلق والخوف » .

وفى حالة أخرى ، حكت سيدة عن تجربةاحتضارها ، فقالت :
«كان الطبيب قد استدعى أخى وأختى ليريانى للمرة الأخيرة . وأعطتنى الممرضة حقنة تساعدنى على الموت فى يسر ودون عذاب . بدأت أشعر بالأشياء التى حولى فى المستشفى تبتعد عنى أكثر فأكثر. . وعندما اختفى كل شىء ، وجدت نفسى أنزلق برأسى فى المقدمة ، داخل ممر ضيق ومظلم جدًا جدًا . كان يبدو أن الممر يحيط بجسمى تمامًا . رحت أنزلق فيه إلى أسفل . . إلى أسفل . . إلى أسفل . . » .

كانت هذه صورة لما يحدث فى بداية تجربة الاقتراب من الموت ، وقد اتسمت روايات الذين خاضوا هذه التجربة بنفس هذا التتابع ، سماع نبأ الوفاة ، الرنين والضوضاء المزعجة ، ثم الانجراف السريع فى الفضاء الأسود الحالك .

ولعل أغرب مراحل هذه التجربة ، والتى يُجمع أصحاب الروايات على مرورهم بها ، هى خروجهم من أجسادهم والتحليق فى فضاء الحجرة، ثم مراقبة الجسد المسجى على السرير أو فى مكان الحادث ، وما تجرى له من عمليات الإسعاف .

الفصل الثالث

الخروج من الجسد

أغرب مـا فى الدراسة التى أجـراها دكتـور رايموند مـودى ، حول الأشخاص الـذين قال الأطبـاء بوفـاتهم ثم جرى إنقـاذهـم بالـوسائل الطبية الحديثـة ، أغرب مـا فى هذه الدراسـة ، هو مـا ورد على ألسنة هؤلاء الأشخاص جميعًا ، عن تجربة خروجهم من إجسادهم .

ودعنا الآن نسمع وصفـاً تفصيليًا لهذه المرحلة من مراحل التجـربة مرحلة الخروج من الجسد ، كما ورد على لسان أحد هؤلاء الأشخاص :

«كنت فى السـابعـة عشرة من عمـرى ، وكنت أعمل مع أخى فى مدينة من مدن الملاهى . فى عصر ذات يوم ، قررنا الذهاب إلى البحيرة للاستحمام وشاركنا فى الحماس لهذه الفكرة بعض الزملاء من الشباب . اقترح واحـد من الشبـاب أن نعـوم عبر البحيرة ، ولما كنت قـد قمت بعبور البحيرة سابحًا أكثر من مرة قبل ذلك ، تحمست للفكرة . ولكن لسبب لا أدريـــه مـا إن وصلت إلى منتصف البحيرة ، حتـى خـارت قـواى ، ووجدت نفسى أغطس فى الماء . أخـذت أناضل حتى أطفـو على سطح الماء ، فكنت أغطس وأطفـو وأغطس مرة ثـانية . وفجأة ، أحسست أننى قد انفصلت عن جسدى وعن الباقين ، فى فضاء واسع خاص بى . ثم أحسست بنفسى بعد ذلك أثبت فى موقع معين ، على

ارتفاع ثابت من الماء ، أتطلع إلى جسمى من بعد ثلاثة أو أربعة أقدام، أتطلع إليه وهو يغطس ويطفو . كنت أرى جسمى من الخلف إلى اليمين بعض الشىء . وكنت ساعتها أشعر بالرغم من ذلك أن لى جسمى الخاص حتى وأنا خارج جسمى المادى. وانتابنى شعور يصعب علىّ تصويره ، كنت أحس أننى خفيف كالريشة » .

وقالت امرأة أخرى :

«منذ عام تقريبًا ، أدخلت المستشفى نتيجة للاضطرابات القلبية التى أصابتنى . وبينما كنت أستلقى على سريرى صباح اليوم التالى لدخولى المستشفى ، أحسست بألم حاد جدًا فى صدرى . بحثت بيدى عن الجرس ، ورحت أدقه لاستدعاء إحدى الممرضات ، فأقبلت مجموعة منهن وأسرعن فى إجراءاتهن . كنت أستلقى على ظهرى ، وأحسست بأن هذا الوضع يؤلمنى ، فحاولت أن أستدير بجسمى. بمجرد أن فعلت ذلك ، اختنقت أنفاسى ، وتوقف قلبى عن النبض. فى تلك اللحظة سمعت الممرضات يتصايحن، ويتبادلن الكلمات السريعة الحادة الخاطفة ، ثم شعرت بنفسى أتحرك خارج جسمى ، منزلقة بين المرتبة وحاجز السرير المعدنى . . فى الحقيقة شعرت أننى أتحرك مخترقة الحاجز المعدنى للسرير حتى وصلت إلى الأرض . ثم بدأت أرتفع إلى أعلى ببطء . وأثناء ارتفاعى ، رأيت المزيد من الممرضات يقبلن مسرعات إلى حجرتى . . تجمّع حول جسدى ما

يقـرب مـن عشر ممـرضـات . وكــان طبيبى فى مــرور على حجـرات المستشفى فأسرعن يستدعينه . ورأيته وهو يدخل الحجرة ، وفكرت :

يـا للعجب ! . . مـاذا يفعل هنـا ؟ . . ثم وجـدت نفسى أتحرك صـاعـدة متجـاوزة المصبـاح المتـدلى من سقف الحجـرة . كنت أرى المصبـاح من جـانبـه بكل وضـوح . ثم تـوقفت عن الحركـة عنـدمـا أصبحت قـريبـة من السقـف وأخـذت أنظـر أسفلى لما يجرى داخل الحجـرة ، كنت أشعر كما لـو كنت قطعـة صغيرة من الورق ، نفخهـا أحدهم إلى سقف الحجرة . . » .

«أخـذت أتابع جهـودهم لاسعـافى من أعلى وكان جسمى ممـددًا هناك أسفلى على السريـر يظهر بكل تفـاصيله واضحـًا ، وكان الجميع يحيطون بجسمى . سمعت إحدى الممرضات تقول : «أوه . . يا آلهى لقد ماتت !» بينما انحنت ممرضـة أخرى فوق جسمى ، تحاول إنقاذى وفمها مطبق على فمى .

كنت من موضعى أنظر إلى قفاها وهى تجرى محاولتها . . ولا يمكن أن أنسى الطريقة التى كان يهتز بها شعرها القصير . ثم رأيت البعض يدفعون جهازًا إلى داخل الحجرة وراحوا يسلطون الصدمات الكهربائية على صدرى . . ومع كل صدمة كنت من مكانى أرى جسمى ينتفض قافـزًا فوق السرير ، وكنت خـلال ذلك أسمع قرقعة عظـامى . . فقد ترك ذلك فى نفسى أسوأ انطباع . .

وعندما كنت أراهم أسفلى ، يضربون بأيديهم على صدر جسدى ، ويدعكون أطرافى . . كنت أقول لنفسى : لماذا يتعبون أنفسهم كل هذا التعب . . فأنا سعيدة الآن كما أنا ؟» .

وفى رواية أخرى يحكى أحد الشبان ما شعر به أثناء مروره بهذه التجربة :

«منذ ما يقرب من عامين ، و كنت فى ذلك الحين فى التاسعة عشرة من عمرى ، كنت أقود سيارتى ومعى صديقى أعود به إلى بيته وعند أحد التقاطعات فى أطراف المدينة ، توقفت بسيارتى ونظرت يميناً ويسارًا وعندما تأكدت من خلوالطريق ، تحركت بالسيارة ، وبينما أنا فى وسط ذلك التقاطع ، سمعت صديقى يصرخ بأعلى صوته وعندما نظرت إلى جانب الطريق ، غشيت عيناى بالضوء الكبير لسيارة مندفعة نحوى ثم سمعت الصوت المرعب لاصطدام تلك السيارة بجانب سيارتى . مرت لحظة خاطفة شعرت فيها أننى أندفع فى الظلام داخل فضاء مغلق . كنت أتحرك بسرعة شديدة ، ثم أحسست كما لو كنت أطفو على ارتفاع خمسة أقدام فوق الطريق ، وسمعت أصوات الناس يقبلون مسرعين ناحية سيارتى ، ثم رأيت صديقى يخرج من السيارة سليماً ، وكان يبدو عليه الذهول . وكنت أرى جسدى وسط الحطام ، وقد التف حوله الناس الذين أقبلوا على صوت الحادث ، وكنت أتابع محاولاتهم لإخراج جسدى من السيارة ، ورأيت كيف

تتلوى ساقاى ، وكيف تغطى الدماء المكان بأكمله» .

وكما هـو متـوقع . إزاء مثل هـذه التجـربة الغـريبـة ، تتـوالى على الشخص الذى يمـر بها العديد مـن الأفكار والمشاعـر . بعضهـم يرى تجربة الخروج من الجسد ، أغرب من أن تخضع للتفكير ، إلى حد أنهم وهم يمارسـونها تسودهـم الحيرة ويغلـب عليهم الارتباك ، فيفشلـون فى ربطها بالموت لزمن طويل نسبيًا . إنهم يتساءلون حول ما يحدث لهم ، لماذا أصبحوا يرون أجسامهم من مسافة كما لو كانوا أحد المتفرجين على ذلك الجسد؟! .

وتتباين مشاعر الاستجابة لهذه الحالة الغريبة تباينًا واسعًا . أغلب الأشخاص يتصورون أنهم شعروا فى البداية ، برغبة لا تقاوم للعودة إلى أبدانهم ، وكان يمنعهم عن هذا ، عدم معرفتهم للطريقة التى يتم بها ذلك . ويقرر البعض الآخر أنهم شعروا بخوف شـديد إلى حد المعاناة الصعبة ، بينما تكلم البعض عن ردود فعل إيجابية لحدث خروجهم من الجسم ، فقال أحدهم :

«تضاعفت وطأة المرض فاضطر الطبيب إلى نقلى للمستشفى . وفى صباح اليوم التالى ، شعـرت بضباب رمادى كثيف يتجمع حولى ، ثم أحسست أننى أخرج من جسدى . نظرت خلفى ، وكان باستطاعتى أن أرى جسمى يـرقد أسفلى . لم أشعـر بأى خـوف . تم كل شىء فى

هـدوء وسـلام ووقـار . لم أكن بأى شكـل من الأشكـال خـائفًـا أو مضطربًا سادنى شعور بالـراحة والهدوء ، أحببته ولم أنفر منه . فكرت فى أننى ربما أكـون قـد تـوفيت . وأدركت أنـه إذا لم أرجع إلى بـدنى ، فستكون وفاتى نهائية» .

ومن الملفت ، استعـراض المواقف المختلفة لـلأشخاص المختلفين إزاء تجربـة الخروج من الجسد ، نحـو أجسادهم التى خـرجوا منهـا . فمن الطبيعى أن تكـون لكل واحـد منـا مشـاعـره الخاصـة نحـو جسده . قـالت شابة كـانت تدرس التمريض ، حـول الخوف الذى لا يطاق ، عندما مرت بهذه التجربة :

«وقـد يبدو ذلـك مثيرًا للسخريـة ، لكنـه كـان شعورى الصـادق ساعتهـا . فى مدرسـة التمريض التى كنـت أتعلم بها ، كانـوا يحاولون إقناعنا بقبـول التبرع بأجسامنا بعد وفـاتنا لصالح العلم . وبينما كنت أخرج من جسـدى ، وعندما رأيتهم يحاولون إعـادة التنفس إلى الجسد المسجى ، كنت أفكـر : لـن أقبل أبـدًا أن يستخـدمـوا هـذا الجسـد لأغراض دراسة التشريح !» .

وفى بعض الأحيان يتسـم شعور الشخص بالأسـف على جسده . تـوقف قلب رجل عقب سقـوطـه من مكـان مـرتفع وإصـابتـه بعـدة إصابات شديدة

قال :

«وفى نفس الوقت الذى كنت أحس فيه أننى أستلقى على السرير، كنت من ناحية أخرى أرى الطبيب وقد راح يتعامل مع جسدى الممدد على السرير . أرى ذلك من موقع مرتفع . لم أفهم ما يحدث لى . ولكنى كنت أنظر إلى جسدى الملقى على السرير ، وقد انتابنى شعور كئيب ، عندما أخذت أتطلع إلى التلف الذى أصاب بدنى » .

تكلم البعض عن شعورهم بنوع من عدم الألفة مع أجسادهم .

«يا لله! . . لم أكن أتصور جسمى أبدًا على هذه الصورة . لقد تعودت على رؤية نفسى فى صورة أو على صفحة المرآة . وكانت الصورة تبدو فى الحالتين مسطحة وذات بعدين . ولكن فجأة ، وجدتنى أستطيع أن أرى جسدى مجسمًا . . كنت أراه بالتأكيد . . منظره كامل من على بعد خمسة أقدام تقريبًا . . هل تعلم ؟ . . لقد مرت مدة لحظات قبل أن أعرف أن هذا الجسد الذى أنظر إليه هو جسدى أنا » .

وفى إحدى الحالات ، بلغت عدم الألفة مع الجسد حد الإضحاك . قال أحد الأطباء يحكى عن تجربة خروجه من جسده . قال إنه كان فى موقع قريب من جسده ، يتطلع إليه وقد أصبح لون الجسد أقرب إلى اللون الرمادى ، كما يحدث للأجسام بعد الوفاة . وسط حالة من اليأس والارتباك ، كان يحاول أن يصل إلى قرار فيما يجب عليه أن يفعله . وبشكل مؤقت قرر أن يبتعد عن المكان نتيجة

للإحساس السيئ الذى انتابه . فهو ـ كطفل صغير ـ سمع من جده الكثير من القصص التى تحكى عن الأشباح التى تحوم حول جثث الموتى . قال الطبيب «كنت أبتعد ، فلم أكن أرغب فى البقاء قريبًا من هذه الجثة وما يمكن أن يكون حولها من أشباح . . بالرغم من أنها كانت جثتى أنا !! . . » .

ومن ناحية أخرى ، أفاد البعض أنهم لم يمارسوا أية مشاعر تجاه أجسامهم . فى أعقاب نوبة قلبية شديدة . أحست إحدى النساء أنها على وشك الموت . شعرت بنفسها تندفع فى الظلام خارجه من جسمها ، مندفعة بعيدًا عنه بسرعة شديدة ، تقول :

«لم أحاول أن أنظر خلفى إلى جسدى بعد أن أحسست بخروجى منه . لقد كنت واثقة بأنه ممدد هناك ، وكان بإمكانى أن أراه ، لو حاولت الاستدارة والنظر إليه . لكنى لم أكن آرغب فى ذلك . كنت أتجه بشغف وانتباه للحياة الجديدة . إن نظرتى إلى جسدى ستكون نظرة إلى الماضى . . وكنت مصممة على ألا أفعل ذلك » .

وبرغم غرابة تجربة الخروج من الجسد ، فإن الدفعة السريعة التى تتم بها هذه العملية تجعل الشخص يبقى لبعض الوقت غير عالم بطبيعة ما حدث له ، يحاول يائسًا أن يفهم حقيقة ما يجرى ، قبل أن يدرك أنه قد مات بالفعل ، وعندما تنكشف له هذه الحقيقة ، يكون اكتشافها من خلال دفقة عاطفية قوية ، مثيرة للارتباك . قالت إحدى

النساء إنها تتـذكر تلك اللحظة ، وكيف صاحت فى النهـاية « أوه . . أنا ميتة فعلاً . . كم هو جميل ! » .

وفى حـالـة أو اثنين من الحالات التى تمت دراستها ، قـرر الـذين اقتربـوا من حالـة الموت الكامل ، أن أرواحهم أو عقـولهم أو إدراكهم «أو أى تسمية أخرى اختاروها » ، خرجت من أجسادهم ، ولكنهم لم يشعروا أنهم فى حـالتهم الجديدة هـذه يحوزون بأى جسم من أى نوع . شعروا أنهم عبارة عن «إدراك» مجرد . قال رجل إنه خلال التجربة شعر كما لـو كـان «قادرًا على رؤيـة كل شىء حـولى ، بما فى ذلك جسـدى الملقى على السريـر ، دون أن يحتل كيـانى الجديد أى فـراغ » . وقـال البعض الآخر ، إنهم لا يتـذكرون إذا ما كان لهم أى نـوع من «الجسد» الخاص بعد خروجهم من أجسادهم الماديـة ، لأنهم كانوا مبهورين بما يجرى لهم ، وما يجرى حولهم .

الفصل الرابع

انسحاب عنصر الزمن

يقول دكتور رايموند مودى إن الذين مروا بهذه التجربة يجمعون على خروجهم من جسدهم المادى ، ثم وجودهم فى جسم آخر بعد ذلك . ومع هـذا فقد وجـد معظم هـؤلاء صعـوبة شـديـدة فى وصف الجسم الجديد والتعريف به . والحديث عن هذا (الجسم الجديد) يعطى مثلاً واضحًا لظاهرة صعوبة وصف هذه التجربة بلغتنا المتعارف عليها . . بل إن اللغة تقف حجر عثرة فى سبيـل الوصول إلى فهم حقيقى لجوهر مـا جرى . . كل من تصـدى لهذا التصـوير ، كـانت تظهر عليـه فى إحدى مراحل الوصف عـلامات الإحباط والحيرة ، وهو يقول «لا ! لا أستطيع أن أصف هـــذا وصفـًا دقيقـًا ! » أو مـا شبـــه ذلك من ملاحظات .

ومع هذا ، وفى حدود ذلك التعبير القاصر ، ظهر التشابه الشديد فى وصف هـــذا الجسم الجديـد . رغـم اختـــلاف الكلمات وتبـــاين التعبيرات والأوصاف ، فقد دارت جميعًا فى نفس الدائرة .

الأشخاص الـذين مروا بتجربـة الموت ، كانوا يتعرفـون على طبيعة الجسم الجديد ، عن طريق حدود وقدرات ذلك الجسم ، كانوا يجدون عنـد خـروجهم من جسمهم المادى ، أنهم يفشلون فى محاولـة إخبـار

الآخرين من الأحياء بحالتهم . لم يكن يظهر على أحد أنه يسمعهم . الأمر الذى يتضح من رواية هذه السيدة التى كانت تعانى من أزمة تنفس ، فنقلت إلى غرفة الطوارئ بالمستشفى ، حيث تمت محاولات الإنعاش ، قالت :

«رأيتهم أثناء محاولة إنعاشى ، كان المشهد يبدو فى غاية الغرابة . لم أكن أرتفع عنهم كثيرًا ، كنت كمن يقف مرتفعًا على درج السلم ، أعلى منهم بدرجتين أو ثلاث ، حاولت أن أتكلم معهم ، لكن أحدًا منهم لم يكن يلتفت لوجودى أو يسمعنى » .

اتركونى لحالى ! !

كذلك يحس الشخص وهو داخل الجسم الجديد ، أن أحدًا لا يراه أيضًا . قد ينظر أحد الأطباء بالضبط حيث يكون ، دون أن تظهر عليه أية بادرة تفيد أنه يرى شيئًا كما أن هذا الجسم الجديد ينقصه التماسك والصلابة . الأشخاص والأشياء فى الحجرة تتحرك من خلاله بسهولة ، كما أنه لا يستطيع أن يمسك بأى شىء أو شخص أو يلمسه . الأمر الذى يظهر فى الرواية التالية :

«وكان الأطباء والممرضات ينكفئون حول جسدى المادى فى محاولة متصلة لإنقاذ حياتى ، وقد ظللت طوال الوقت أحاول أن أسمعهم صوتى ، وأنا أصيح : اتركونى لحالى . . كل ما أطلبه منكم أن تتركونى

لشأنى !لا تتجمعوا حول جسدى هكذا !! لكنهم لم يسمعونى . حاولت أن أمنع أيديهم من الضرب فوق جسدى فى محاولات الإنقاذ التى يقومون بها ، لكن دون جدوى . لم أكن أدرى إلى أين أمضى . . وماذا أفعل . . كان يبدو أننى ألمس أيديهم بالفعل ، لكن عندما أهم بتحريكها لا تستجيب لى . لم أكن أعرف ، هل تنفذ يدى داخل أيديهم أم تنزلق من حولها . . » .

وفى رواية أخرى لشخص مر بهذه التجربة :

«كان الناس يتدفقون من كل مكان متجهين إلى حيث السيارة المحطمة ، كنت أراهم ، وأنا أقف فى ممر ضيق بين الصخور يؤدى إلى المكان الذى سقطت فيه السيارة ، رأيتهم يندفعون نحوى ، لكن لم يكن يظهر عليهم أنهم يلاحظون وجودى ، كانوا يمضون فى سيرهم ، وعيونهم تقتحمنى دون أن ترانى وعندما اقتربوا منى جدًا ، حاولت أن أستدير مفسحًا لهم الطريق ، لكنهم كانوا يعبرون خلالى إلى حيث السيارة » .

ومن واقع الروايات المختلفة ، يجمع أصحاب التجربة على أن ذلك الجسم الروحانى يكون بلا وزن . كانوا يلاحظون ذلك من سباحتهم فى الهواء بسهولة حتى يصلوا إلى سقف الحجرة ، أو عاليًا فى الفضاء .

هذه الخصائص التى قد تشكل للوهلة الأولى حدود الجسم

الروحانى ، هـى فى واقع الأمر مؤشر انعدام حدوده . فـالشخص بعد أن يغـادر جسمـــه المادى إلى جسمـه الجديـد يعتبر فى مـــوقع متفـوق بالنسبـة لباقى البشر المحيطين بـه . يراهم ويسمعهـم دون أن يروه أو يسمعوه . إذا كان مقبض الباب يستعصى على محاولتـه لتحريكه فهو يكتشف بعـد قليل أنـه لا يحتـاج إلى استخـدام ذلك المقبض ، إذ أن بإمكانه أن ينفذ من خلال الباب أو الحائط .

انعدام عنصر الزمن

وقد اتفق كل الذين مروا بهذه التجربة ، على أن مرحلة الخروج من الجســد تتميز بإنعـدام عنصر الزمن الـذى يلح علينا طـوال حياتنـا . وأغلبهم يقـول إنـه بـالـرغم من أنـه يصف تجربتـه مع الجسم الجديـد بإصلاحـات قد يدخل فيهـا الزمن عامـلاً « باعتبار أن اللغـة البشرية ترتبط بالزمن » ، بالرغم من ذلك ، لم يكن الزمن عاملاً فى تجربته، كما هـو الحال أثناء الحيـاة المادية ، وفيما يلى إحـدى الروايـات حول هـذه النقطة :

«عنـد المنحنى الشـديـد فقدت سيطـرتى على السيـارة ، فقفـزت السيـارة من فـوق الطـريق وطـارت فى الهواء . . أذكـر أننى كنت أرى السماء زرقاء ، وأحس بالسيارة تهبط نحـو حفرة على جانب الطريق . عنـدما ارتفعت السيـارة عن الطريق ، قلت لنفسى : هـذه حادثـة !

عند هذه النقطة ، فقدت إحساسى بالزمن ونسيت وجودى المادى . شعرت أن وجودى أو نفسى أو روحى ترتفع خارج جسمى من خلال رأسى . لم يكن ذلك مؤلمًا لم يكن أكثر من خروج لهذا الوجود من جسمى ، واستقراره فوق ذلك الجسم .

عندما أصبحت داخل ذلك الوجود أو الكيان الجديد ، كنت أشعر أن له كثافة من نوع خاص ، لكنها تختلف عن كثافة الجسم المادى . . لا أعرف كيف أصف هذا . . إنه أشبه بالأمواج على ما أظن . الثابت أنه لم يكن جسمًا ماديًا . . كان كيانًا مشحونًا . . كيانًا صغير الحجم ، يبدو أقرب إلى الاستدارة ولكن بلا إطار محدد . كان شيئًا أشبه بالسحاب .

عندما خرج ذلك الكيان من جسدى ، أحسست كما لو أن جرمه الأكبر خرج من جسمى أولاً ، ثم تبعته نهاية أو ذيل رفيع . كان شعورى أثناء ذلك الخروج رقيقًا للغاية ، فلم يكن جسمى المادى يعانى أى توتر . أهم ما فى هذه التجربة ، كانت لحظة خروج ذلك الكيان من جسدى وبقائه معلقًا أمام جبينى . . كان يبدو مترددًا هل يمضى أم يعود إلى حيث كان .

فى ذلك الحين ، بدأ وكأن الزمن قد توقف تمامًا . فى بداية الحادث وعند نهايته تحرك كل شىء بسرعة كبيرة ، لكن فى تلك اللحظات ما بين النهايتين ، وعندما خرج ذلك الكيان ليبقى معلقًا فوق رأسى ،

بينما كانت السيارة تطير فى الهواء مبتعدة عـن الطريق ، ظهر كما لو أن انتقال السيارة من الطريق إلى الحفرة قد استغـرق أزمانًا طويلة . خلال ذلك الـزمن الطويل ، لم أكن أهتم بـالسيارة أو بـالحادث أو بجسمى المادى . . لكن اهتمامى كان مركزًا فى عقلى .

لم يكن لكيانى هذا أيـة خصائص مادية أو بـدنية ، لكن ما يحيرنى أننى أجد نفسى الآن مضطرًا لوصفه من خلال اصطلاحات مادية . . وعلى أى حـال ، أيًا كـانت أوصـافى ، فهى تقترب من حقيقـة ذلك الكيان ، لكنها لن تشكل وصفًا حقيقيًا له » .

قدرات خارقة

فى بعض الـروايات ، ذكر بعـض الأشخاص الـذين مروا بتجـربة الاقتراب من الموت والخروج من الجسد ، التشابه بين أجسامهم المادية وأجسامهم الجديدة . قالت امرأة إنـه بينما كانت خارج جسدها «بقى لـدى الشعـور بجسم مكتمل الشكـل ، سـاقـان وذراعـان . . وكل شىء . . بـالرغم مـن أنه لم يكن لـه أى وزن » . وقـالت سيدة كـانت تراقب جهود إنعاش جسدهـا المادى من نقطة قريبة من سقف الحجرة «كنت مـا زلت داخل جسد مـا . . كنت أتمدد وأنظر إلـى أسفل . . كـنت أحـرك ساقى . . وكنت أشعر أن إحـداهما كانت أكثر دفئًا مـن الأخرى ! » .

ومن خلال الروايات المختلفة أفاد الأشخاص الذين مروا بهذه التجربة أنه بعد تعودهم على وجودهم خارج الجسم المادى ، كانوا يفكرون بطريقة أكثر سرعة وانطلاقًا مما تعودوا عليه فى حياتهم . قال أحدهم :

«الأشياء التى كانت تبدو مستحيلة ، أصبحت الآن ممكنة . نقاء فى العقل . . كم كان جميلاً . . كان عقلى يتناول الموضوعات ويعمل فيها بكفاءة وانطلاق لم أتعودهما . أصبح كل ما يمر بى من أحداث له معناه الذى أدركه على الفور » .

وقال أحد الذين اقتربوا من تجربة الموت إن حاسة الإبصار كانت خلال هذا قوية بشكل ملموس «لا أعرف كيف كان بإمكانى أن أرى الأشياء التى كانت على ذلك البعد » .

وتقول إحدى السيدات اللاتى مارسن التجربة عقب حادثة :

«وكانت تجرى حولى حركة دائبة ، أشخاص يجرون حول عربة الإسعاف . كلما نظرت إلى شخص فى محاولة لاستطلاع ما يفكر فيه ، كان يحدث مثل ما يحدث مع الكاميرا «زوم » التى تستطيع بحركة سريعة خاطفة أن تصل إلى أدق وأصغر جزئية من المشهد . كنت أحس أن جانبًا منى يبقى فى مكانه : قد أسميه عقلى ، على بعد عدة ياردات من جسدى المادى . عندما كنت أود رؤية شخص بعيد ، كان يبدو أن جانبًا منى ، يتحرك موفدًا ناحية ذلك الشخص .

شعرت ساعتها أننى أستطيع أن أرى أى شىء يحدث فى العالم لو أردت ذلك» .

الشعور بالوحدة التامة

و«السمع » فى هذه الحالة الروحية ، يكتسب هذا الاسم على سبيل المجاز ، لأن معظم الذين مروا بهذه التجربة يجمعون على أنهم لم يكونوا يستمعون إلى الأصوات المادية ، بل كانوا يلتقطون أفكار الشخص قبل أن ينطقها . قالت إحدى السيدات :

«كنت أرى الناس من حولى ، وكنت أفهم ما يقولون ، لكنى لم أكن أسمع صوتهم كما يحدث فى حياتى الآن . كان الأمر أقرب إلى إدراك ما يفكرون فيه . . كنت أستطيع أن ألتقط رسائلهم قبل أن يفتحوا أفواههم بثوان للنطق بها » .

ليس غريبًا إذن ، بعد مرور الشخص بهذه الحالة لبعض الوقت ، أن تستولى عليه مشاعر قوية بالوحدة . قال أحدهم :

«كان شعورى إن كل ما يمر بى جميل ولطيف ، لكنه لا يوصف . كنت أريد أن يشاركنى الآخرون فيه . كنت أخشى أننى لن أتمكن من وصف ما أراه لأى شخص آخر ، شعرت بالوحدة لأننى كنت أحب أن يشترك معى شخص آخر فى هذه التجربة الجميلة . لكنى كنت أعلم أننى وحيد . . فشعرت بالاكتئاب » .

وفى رواية أخرى :

«لم يكن فى استطــاعتى لمس أى شىء أو شخـص لم أكن أستطيع الاتصال بأحد ممن حولى . انتابنى شعور بالانعزال والوحدة . . كنت أشعر أننى بمفردى تمامًا » .

وفى رواية ثالثة :

«كنت مندهشًا . لم أكن أصـدق ما يجرى . . لم يصبنى أى شعور بـالقلق . لم تـراودنى أفكـار مـن نمط . . يـا إلهى . . لقـد مت . . وسأفارق والـدى . . سيصيبهما الحزن لفراقى ، ولن أستطيع أن أراهما مرة ثانية . . لم يدر بـرأسى أى من هذه الأفكار . . كنت أشعر طوال الوقت أننى وحيـد . . وحيد تمامـًا ، كما لو كنت زائرًا من عـالم آخر . لقد انقطعت جميع صلاتى بالعالم الذى تركته ورائى . . لم أكن حقيقة أفهم ما يحدث لى » .

لقاء الأقارب والأصدقاء

غير أن شعـور الوحـدة هذا ، لا يلبث أن يتبـدد ، عندمـا يمضى الشخص قدمـًا فى تجربة الانفصال عن جسده . فعنـد نقطة معينة ، يقبل نحوه آخرون من نفس طبيعته لمساعدته فى رحلته . وعادة يكونون من بين أقارب الشخص أو أصدقائه الحميمين الـذى توفوا من قبل . كما يشير أغلب الذين مـروا بهذه التجربة إلى كائن روحـانى نورانى من طبيعة مختلفة نهائيًا ، يظهر لهم عند هذه المرحلة من التجربة .

الفصل الخامس

الكائن النورانى

بعد الخروج من الجسد والتحليق فى فضاء المكان . . بعد أن تخفت دهشة الشخص من هذه التجربة المثيرة التى تجرى له ، بعد سماعه خبر وفاته من المحيطين به . . بعدها ، يبدأ الإحساس بوجود كائنات روحانية ، يبدو أنها جاءت لمساعدتهم ولكى تسهل عليهم عبور الممر الذى يفصل تلك الحياة عن الحياة الأخرى . ويقول دكتور رايموند مودى إنه فى حالتين فقط من الحالات التى درسها ، قال صاحب التجربة إن تلك الكائنات جاءت تخبره أن موعد وفاته لم يحن بعد ، وأن عليه أن يعود مرة ثانية إلى حياته المادية السابقة ! .

قالت إحدى السيدات اللاتى مررن بتجربة الموت الاكلينيكى الكامل ثم أمكن إسعافهن بالوسائل الطبية الخاصة :

«مررت بهذه التجربة عندما كنت أضع مولودى . كانت الولادة متعسرة للغاية ، وفقدت قدرًا كبيرًا من الدماء . يئس الطبيب من حالتى ، وأبلغ أهلى بأن نهايتى قد قربت . كنت واعية تمامًا بكل ما يجرى حولى بالرغم من هذا . وعندما سمعت كلماته أحسست فعلاً أننى أموت ، وجدت نفسى أحلق قريبًا من سقف الحجرة ثم اكتشفت أننى لست وحيدة ، وجدت جمعًا من الناس حولى فى مكانى

هذا ، كانـوا جميعًا ممن عرفتهم فى حياتى السـابقة ، وكانوا قـد ماتوا . رأيت جدتى ، كما رأيت طفلـة صغيرة كانت صديقة طفـولتى وماتت وهى طفلـة . . رأيت الكثير من الأقــارب والأصـدقـاء ، كنت أرى وجوههم فقط وأشعر بوجودهم . كان يبدو عليهم السرور. . وشعرت أنهم جـاءوا لحمايتى وإرشادى . كـان شعـورى كما لو كنت أعـود إلى البيت بعد غياب طويل ، وأنهم قد اجتمعوا للترحيب بى . طوال هذه التجربة كنت أشعر بكل شىء من حولى لطيفًا جميلاً . . كانت لحظات رائعة . . » .

لم تحن الساعة !

ويقول رجل آخر :

«قبل أن أمر بتجربة الاقتراب من الموت بعدة أسابيع ، توفى صديق حميم لى يـدعى بوب . وفى اللحظة التـى خرجت فيها مـن جسدى ، وجدت بـوب ينتظرنى مترقبًا . كنت أراه بإدراكى شـاعرًا بـوجوده إلى جانبى . لم أكـن أراه فى جسده المادى . . لكننى أحس بـه تمامًا . . . نــظراته . . وكل ما يتصل بـه . كنت أشعـر بوجـوده كامـلاً . . كل عضـو من أعضـائه ، رغم أننى لم أكن أبصر جسـدًا مـاديًا . ظللت أسألــه : بـــوب . . أخبرنى ، إلى أين سأمضـى ؟ . . مــا الــذى حــدث؟ . . هـل مت أم ليس بعــد؟ . لكنـــه لم يجب على أى من

تساؤلاتى . . لم يقل كلمة واحدة . وعندما جاء الطبيب إلى حجرتى وقال لأهلى : أعتقد أنه سيعيش . لم أعد أرى بوب أو أشعر بوجوده . كان يبدو وأنه ينتظر اجتيازى لمرحلة معينة ، قبل أن يفيدنى بتفاصيل ما يحدث لى» .

وفى حالتين من الحالات التى درسها دكتور رايموند مودى ، قال صاحب التجربة إنه سمع صوتًا يخبره بأن ساعة وفاته لم تحن به ، وأن عليه أن يعود ثانية إلى الحياة . قال أحدهما :

«سمعت صوتًا ، ليس بشريًا ، ولكنه نوع من السمع يتجاوز الأحاسيس الجسدية ، أخبرنى بما يجب على أن أفعله « أى العودة إلى الجسد» ، وهكذا لم أشعر بأى خوف عند العودة إلى جسمى المادى مرة ثانية» .

كائن من النور

لعل أكثر العناصر شيوعًا فى روايات الذين مروا بهذه التجربة ، تلك الظاهرة التى كان لها أكبر وأعمق الأثر عليهم ، ظاهرة تعرفهم على النور الشديد الاستضاءة .

قالوا إن ذلك النور يبدأ فى أول الأمر خافتًا ، لكنه سرعان ما يصبح لامعًا براقًا ، حتى يصل إلى درجة عالية من الالتماع السماوى وأصحاب التجربة يصفون ذلك الضوء بالبياض والنقاء والالتماع . .

ويجمعـون على أن ذلك الضـــوء لم يكن يبهـرهـم أو يـــؤذى عيـونهم أو يمنعهم من رؤية باقى الأشياء من حولهم .

ورغم غرابـة ظاهرة الضوء هـذه ، فلم يشك أى واحد منهم فى أن ذلك الضوء كـان كائنًا لـه وجوده القـوى وليس مجرد ضوء . وأن ذلك الكائن كانت له صفاته المميزة . . ذكر الجميع من بين هذه الصفات : الحب والدفء الذى يشيعه ذلك الكائن النوارنى فى الأشخاص الذين يمرون بتجـربة الاقتراب من الموت ، يقولون : إن الشخص يشعـر أنه محاط تمامًا بـذلك الكائن النـورانى ، مأخوذًا به ، كما يشعـر بالـراحة الكاملة والخلوص التام فى محضر الكائن النورانى . . يشعر بالانجذاب الذى لا يمكن مقاومته نحو ذلك النور اللامع .

ومع اتفاق كل الـذين مروا بـالتجربة ، حـول مرحلة لقـاء الكائن النورانى ، فقد اختلف تشخيصهم له وفقـًا لخلفياتهم الخلقية والدينية والتربوية ووفقًا لدرجة إيمانهم .

هل كانت تساوى ؟

بعـد ظهور ذلك الكـائن بقليل ، تبدأ صلتـه بالشخص صـاحب التجربـة . والثابت فى جميع الحالات أن الاتصـال هنا يتم على طـريق الإدراك المباشر ، بلا كلمات أو أصوات ، مجرد التقاط للأفكار . الكل يجمع على أنـه لم يستمع إلى صوت يصـدر عن ذلك الكائن . بل كـان

هناك ما يشبه التيار المناسب من الأفكار المتبادلة ومع هذا فقد كان يجرى على درجة من الوضوح والقوة بحيث لا يترك مجالاً لعدم الفهم والاشتباه فى أى تفاصيل . حديث متبادل متصل بلا كلمات أو ألفاظ أو لغة من اللغات ، إنه نوع من الإدراك الفكرى المباشر .

والخطوة التالية من التجربة ، تصور صعوبة ترجمة ذلك الحوار غير المنطوق الذى يجرى مع الكائن النورانى إلى لغاتنا الأرضية . وقد حاول أصحاب التجربة ترجمة الأفكار التى وصلتهم من الكائن النورانى إلى ألفاظ لغوية . ومن بين الصيغ التى ذكرها أصحاب التجربة ، محاولة وضع تساؤلات الكائن النورانى فى سؤال «هل أنت مستعد للموت؟» ، و«هل أنت ميهأ للموت ؟» ، و«ماذا فعلت فى حياتك ، ترى أن تطلعنى عليه ؟» و«ما الذى فعلته فى حياتك وتعتبره كافيًا ؟» .

وهذه الأسئلة تندرج تحت طائفتين . الطائفة الأولى تتمثل فى السؤالين الأولين اللذين يركزان على فكرة الاستعداد . والطائفة الثانية التى تدور حول الإنجازات . على أى حال ، يبدو أن تنوع هذه الصيغ ، مرجعه إلى حيرة الشخص صاحب التجربة عند ترجمة الأفكار المجردة التى عاشها إلى ألفاظ لغوية منطوقة . ولعل فى قول إحدى النساء اللاتى مررن بالتجربة ما يوضح ذلك عندما تقول :

«كان وكأنه يسألنى إذا كنت مستعدة للموت ، أو عما فعلته فى حياتى ، مما أحب أن أعرضه عليه . . » .

ورغم تعـدد الصور التى حـاول بها أصحاب التجـربة طـرح ذلك الإحساس بـالسؤال ، فأغلبهـا بعد البحث والتـوضيح ، يصل بنا إلى نفس الفكرة والمضمون . قال أحد أصحاب التجربة :

«سألنى الكائن النورانى : هل كـانت تساوى ؟ . . وكان يعنى ، هل كانت الحياة التى عشتها تساوى أن تعاش ؟» .

ليس اتهامًا . !

والثابت من إجماع أصحاب التجربة ، أن ذلك السؤال لم يكن يوجه إليهم كنـوع من الاتهام . لقد أكـد الجميع أن الكائن النـورانى لم يكن يوجـه إليهم السؤال كى يدينهم أو كنـوع من التهديد . . فقد كـانوا، حتى لحظـة استرجـاعهم للتجربـة ، مـا زالـوا يشعرون بـدفقـة الحب والقبـول التى كـان ذلك الكـائن النـورانـى يغمـرهم بها ، أيـًا كـانت إجابتهم على سؤاله . قالوا إن الهدف الأساسى من ذلك السؤال ، هو دفعهم إلى التفكير فى حياتهم السابقة ، واستعـراض أحداثها ، تمهيدًا لخروجهم منها . كان نوعًا من التساؤل الفلسفى السقراطى ، شخص يسأل ليس بحثـًا عن إجابـة ، ولكن لمساعـدة الشخص الآخر الـذى يوجه إليه السؤال ، على الوصول إلى الحقيقة بنفسه .

وفيما يلى سنحـاول أن نلقى مزيـدًا من الضوء على هـذا الجانب من التجربة ، من واقع نص روايات أصحاب التجربة .

قال أحدهم :

«سمعت الطبيب يقـول إننى تـوفيت . كان هـذا فى نفس الـوقت الذى شعرت فيه بسقطة مفاجئة ، أو إن شئت الدقة بنوع من الطفو ، فى ذلك الظلام الـذى كان يبـدو مغلقًا . ليست هنـاك كلمات صالحة لـوصف هذا ، كـان كل شيء يبـدو شـديد الظلمـة ، فيما عـدا ذلك الضوء الذى كان يظهر أمامى . . كان ضوءًا شديد الالتماع . . لم يكن منتشرًا فى أول الأمر ، لكنه أخذ فى النمو والانتشار كلما اقتربت منه .

كنت أسعى للـوصـول إلى ذلـك الضـوء ، لأنى كنت أشعـر أنـه المسيح ، وكنت أريد أن ألحق به . . لم تكن التجربة مخيفة بأى شكل ، بل كانت سارة إلى أبعد حد » .

وقال شخص آخر :

«نهضت ، ومشيت فى الصـالة أريـد أن أشرب ، فى هذه اللحظـة انفجرت زائدتـى الدودية ، وشعـرت بضعف شديـد ، فسقطت على الأرض . بدأت أشعر أننى أنسحب . . كنت أشعر أن كيانى الحقيقى يـدخل ويخرج من جسمى المادى ، مـع سماعى لأصـوات مـوسيقيـة جميلة . أحسست بكيانى الجديد يعوم فى فضاء ا لصالة ، ثم يخرج إلى الحديقة المسـورة خارج البيـت . هناك شعـرت بما يشبه السحـابة و إن شئت الـدقـة ما يشبـه الضبـاب الوردى . . . كـان يتجمع حـولى ، فوجدت نفسى أحلق مخترقًا السور ، وكأنه ليس جسمًا ماديًا يعوقنى ،

وأتجه نحو ذلك النور النقى المتبلور الأبيض المضىء . كان النور جميلاً ولامعا ، على درجة كبيرة من الإشعاع ، لكنه لم يكن يؤذى بصرى . إنه يختلف عن أى نور رأيته على سطح الأرض فى حياتى المادية . لم أكن فى واقع الأمر أرى أى شخص مجسد فى ذلك النور . ومع هذا ، كان لذلك النور كيانه الخاص ، لم يكن فى ذلك أدنى شك . إنه نور يتمتع بإدراك وتفهم تام ، وبحب كامل .

لا أستطيع أن أعبر عما وصلنى من ذلك النور بالضبط ولكنه كان يحمل معنى : إذا كنت تحبنى ، فعد وأكمل ما بدأته فى حياتك . كنت طوال ذلك أشعر أننى محاط بحب لا يمكن مقاومته » .

تيار الحب العجيب

وفى رواية ثالثة :

«كنت أعلم أننى أموت ، وأنه لم يعد هناك ما يمكننى أن أفعله فى هذا الصدد ، لأن أحدًا لم يكن يسمعنى . . شعرت بنفسى أخرج من جسدى المادى ، لم يكن فى ذلك أى شك ، لأنى كنت أرى جسدى المادى ممددًا على مائدة العمليات ، أما كيانى الحقيقى فكان خارج ذلك الجسد .

للوهلة الأولى انتابتنى بعض المشاعر السيئة ، ثم أقبل ذلك الضوء ، مثل مصباح «فلاش» من مصابيح التصوير الفوتوغرافى ،

مصباح ضخم خرافى ، كان يبعث الدفء فى نفسى .

كان النور لامعاً أبيض اللون يميل إلى الاصفرار . . ضوءًا قويًا لا يمكن تصوره . . كان يضىء كل شىء . . وكان فى نفس الوقت مريحًا يسمح لى برؤية واضحة لكل ما حولى لم يكن ذلك النور الذى يغشى البصر.

فى البداية ، عندما ظهر النور ، لم أكن أدرى شيئًا عن طبيعة ما يحدث ، لكننى أحسست بشكل ما ، أن ذلك النور يسألنى إذا ما كنت مستعدًا للموت . كان الأمر أشبه بالتحدث إلى شخص . . لكن شخصًا ما لم يكن هناك . لقد كان حديث النور معى بلا أصوات .

منذ أن بدأ الكائن الضوئى حديثه معى أحسست بالأمان والطمأنينة والحب . لقد كان تيار الحب الذى يصلنى من ذلك الكائن مما لا يمكن وصفه » .

غير أن علاقة أصحاب التجربة بالكائن النورانى لا تنتهى عند هذا الحد . . فبعد هذا تجىء مرحلة استعراض أحداث حياة الشخص . . ذلك النوع الغريب من المشاهد المتواقتة المتزامنة التى تحمل آلاف التفاصيل فى لحظة خاطفة .

الفصل السادس

استعراض وقائع الحياة

رأينا كيف يسمع الشخص خبر وفاته من الطبيب أو من أحد الذين حضروا الوفاة ، ثم ما يجرى للشخص من انجراف سريع فى الحيز الشديد الظلام وما يصحب ذلك من رنين أو أزير ، ثم تتابعنا معًا التجربة المثيرة للخروج من الجسد والتحليق فى جو المكان ومشاهدة عمليات الإنقاذ التى تجرى للجسد . . ثم لقاء الأقارب والأصدقاء القريبين الذين كانوا قد ماتوا من قبل . . وأخيرًا لحظة اللقاء مع الكائن النورانى الذى يشيع محبة وصفاء .

يقول دكتور رايموند مودى إن الأشخاص الذين مروا بهذه التجربة ، أجمع معظمهم على أن لحظة ظهور الكائن النورانى ، ثم أسئلته التى يواجهها بلا كلمات ، تكون مقدمة للحظة من اللحظات المدهشة فى كثافتها وعمقها .

يبدأ الكائن النورانى مساعدة الشخص الذى مر بتجربة الموت على استعراض أحداث حياته فى مشهد بانورامى عريض . لم يكن الكائن النورانى يوجه أى أسئلة ، فهو لم يكن فى حاجة إلى ذلك ، ومجمل حياة الشخص معروض أمامه فى مشهد واحد . . لقد كانت مهمته مقصورة على إثارة الانطباعات لدى الشخص صاحب التجربة حول

حياته الماضية . ويرى أصحاب هـذه التجربة صعوبة كبيرة فى وصف هذا الجانب من تجربتهم ، ويقـولون إن أقرب وصف لما يجرى فى تلك اللحظات ، هو تشبيهه بالذاكرة . فعمليـة التذكر هى أقرب الظواهر لما يجرى فى مرحلة استعراض أحداث الحياة . . ولو أن طبيعة ما جرى لهم له خصائصــه المميزة التى تبتعد به كثيرًا عن عملية التذكـر العادية التى سبق لهم أن مـارسـوهـا فى حيـاتهم . وفيما يلى بعض المحـاولات لوصف هذا الجانب من التجربة :

المحبة والمعرفة

أولاً ، وقبل كل شىء ، تجرى هذه العملية فى سرعـة غير عادية لا يمكن تصـورهـا أو وصفهـا . ويقــول دكتـور رايمـونـد مـودى إن الأشخاص الذين أجـرى عليهم أبحاثه ممن مروا بتجـربة الموت ، عند وصفهم لهذه المرحلة من التجربة ، كانوا يقعون فى الحيرة عند استخدام المصطلحات الزمنية فى وصفها . .

يقولون مثلاً إن مشاهد الحياة كانت تتلاحق الواحدة إثر الأخرى فى سرعة شديدة ، تابعة ترتيب حـدوثها أثناء حياتهم الماضية ، بينما يذكر البعض أنه لم يكن هناك أى نوع من التتابع الـزمنى إطلاقًا . . لقد كان التذكـر متواقتـا متزامنًا ، بحيث يظهـر شريط الحياة بأكملـه فى لحظة واحـدة وفى نفس الوقت ، أى أنهم كـانوا يـدركونـه كله ، بما فيـه من

تفاصيل ، فى نظرة خاطفة . وأيًا كان الاختلاف فى وصف هذا الشطر من التجربة ، فقد أجمع الكل على أنه تم فى لحظة قصيرة جدًا بحساب زمننا الدنيوى .

ومع هـذا ، وبرغم هـذه السرعة الفائقة ، قال الجميع إن الاستعراض كان يتم كصور مرئية ، حية وحقيقية بشكل مثير للعجب . وقد وصف البعض هذه المشاهد بأنها كانت تجرى بألوان متلألئة ، فى صورة ذات أبعاد ثلاثة ، وبطريقة حية متحركة ، وبالرغم من أنها كانت تظهر خاطفة وفى سرعة كبيرة ، إلا أن كل صورة منها كانت تبدو بوضوح وبطريقة تسمح بتأملها بشكل كامل . بل إن هذا الاستعراض لم يكن يتم فى حدود الرؤية فقط كفيلم سينمائى مثلاً ، بل كان كل مشهد من المشاهد يثير مرة ثانية كافة المشاعر والأحاسيس التى أثارها الحديث فى حينه .

قال البعض إنهم شاهدوا كل ما فعلوه فى حياتهم ، من أصغر الأشياء شأنًا ، إلى أكثر أحداث الحياة أهمية وخطرًا . وهم مع هذا لا يستطيعون بألفاظ اللغة أن يفسروا كيفية حدوث ذلك . وقد قرر لبعض أنهم بعد أن مروا بهذه التجربة ، وبعد أن مضى عليها زمن طويل ، ما زالوا حتى الآن يتذكرون تفاصيل أحداث حياتهم السابقة التى شاهدوها أو أدركوها أثناء هذه التجربة .

وصف البعض هذا الشطر من تجربتهم على أنه نوع من جهد

التلقين والتعليم قام الكـائن النورانى ، وبينما كـانوا يتـابعون مشـاهد حياتهم، بدا وكأن الكـائن النورانى يركز على أهميـة أمرين فى الحياة : تعلم محبة الآخرين ، وتعميق المعرفة .

وفيما يلى نصوص الشهادات التى سجلها بعض الذين مروا بتجربة الاقتراب من الموت ، حول مرحلة استعراض مشاهد الحياة السابقة .

لقد كان يعرف ! . .

قالت واحدة من أصحاب هذه التجربة :

«عندما ظهر ذلك النور ، قال أول ما قال : ما الذى تودين عرضه علىّ مما فعلت فى حيـاتك ؟ . . أو شيئًا من هذا القبيل . وعندمـا بدأ استعراض شريط حيـاتى ، كنت أقول لنفسى : يـا للعجب ! . . ما هـذا الـذى يحدث أمـامى . ذلك أننى وجـدت نفسى فجـأة أتـابع حـياتى وأنا طفلة صغيرة ، ثم مضت أحداث حيـاتى تتتابع عامًا بعد عام .

كما كـان غريبـًا حقًا أن أرى نفسى ، فتـاة صغيرة تلعب فى الأرض الفضاء المجاورة لبيتنـا كذلك كانت هناك بعض المشـاهد الأخرى من ذلك الزمـن ، تجارب مررت بها مع أختى ، وأخـرى تتصل بجيراننا ، والأمـاكن التى زرتها فى ذلـك الحين . ثم وجـدت نفسى فى روضـة الأطفال ، وتذكرت المشهد الـذى يعرض أمامى : اللعبة التى أهديت

لى ، والتى أحببتها وتعلقت بها ، وكيف رحت أبكى لوقت طويل بعد أن انكسرت .

ظلت مشاهد حياتى تتتابع ، عندما التحقت بحركة المرشدات الكشفية . . إقامتنا فى الخيام أثناء المعسكر . ثم دروس اللغة التى كنت آخذها . وما بعد ذلك عندما دخلت المدرسة الاعدادية . . ثم الثانوية . . ثم دراستى الجامعية .

لقد كانت مشاهد حياتى تتلاحق فى ترتيبها الزمنى . . حية إلى أبعد درجة . كان الأمر كما لو كنت أعيش هذه الحياة مرة أخرى . . بالأبعاد الثلاثة والتجسيم والألوان والحركة . عندما رأيت مشهد تحطيم اللعب المفضلة ، كنت أرى نفسى صبية صغيرة وسط مشهد سينمائى يضم باقى الأطفال الذين يتسلون بألعابهم . كنت أرى نفسى وسط البنات ، وأتابع حركاتى ، نفس الحركات التى كنت أقوم بها . . ذلك أننى أتذكر الآن ذلك جيدًا .

أثناء متابعتى لشريط حياتى . لم أكن أرى الكائن النورانى فى ذلك الوقت . لقد اختفى بمجرد أن وجّه إلىّ سؤاله ، لكنى كنت أحس بوجوده طوال متابعتى للمشاهد . . كنت أحس به معى . . يعلق بين الحين والآخر على ما يجرى أمامى من مشاهد . كان يسعى إلى أن يكشف لبصيرتى عن جديد فى كل مشهد من هذه المشاهد . لم يكن

الأمر كما لـو أنه يحاول أن يرى ما فعلتـه فى حياتى . . لقد كـان يعرف ذلك مسبقـًا . لكنه كـان يسـاعـدنى على تأمل مشاهـد حيـاتى التى يعرضها أمامى .

خـلال هذا جميعـه . . كان يـؤكد دائمًا على أهميـة الحب . من بين المشـاهد التى ركـز عليها ، المشـاهد التى ضمتنى مع أختى ، أقـرب البشر إلى نفسى . عرض علىّ بعض المشـاهد التى كنت فيهـا على قدر من الأنانيـة معها ، ولكنه عرض فى نفس الـوقت العديد من المشـاهد التى تمثل أوج محبتنـا المشتركة . لم يكن يـوجه إلىّ أى نـوع من الاتهام ، وحتى عندما عـرض المشاهد التى بدوت فيها أنـانية ، كان يحثنى على الاستفادة من هذا التجربة .

لا يمكننى أن أحـدد كم من الزمن استغـرقـه هذا . أقبل الكـائن النورانى ثم رحت أعبر مشاهد الذكريات ، ثم عاد ثانية . . كان يبدو أن ذلك كله فى أقل من خمس دقائق . . لا أدرى ! . . ربما أكثر قليلاً من نصف دقيقـة . . حقيقـــة ، لا يمكننى أن أحـدد ذلك . الشىء الوحيـد الذى أشعـرنى بالخوف هو إدراكى أننى لـن أمضى فى حياتى الجديدة هذه ، وأننى سأعود ثانية إلى حياتى السابقة » .

ملامسة الموت

فى بعض الحالات ، قـال أصحاب التجربـة إنهم مروا بنفـس هذه

الخبرات دون أن يظهر لهم الكائن النورانى . ومع هذا فقد كان للتجربة نفس حيويتها وتدفقها ، سواء ظهر الكائن النورانى أو لم يظهر ، وسواء تم ذلك فى حالة وفاة اكلينيكية تامة ، أو عند حدوث تلامس خاطف مع حالة الموت .

قال أحد الأشخاص :

«بعد الانجراف السريع فى ذلك الحيز المظلم الطويل ، وجدت فى النهاية كل أحداث طفولتى وحياتى السابقة بكاملها تنتظرنى . لم يكن عرض أحداث حياتى يتم على شكل صور مادية ، بل كان أقرب إلى الأفكار . يصعب علىّ الآن أن أصف ما حدث لى ، لكن الثابت أن هذه الأحداث لم تكن تتعاقب واحدة بعد الأخرى ، لم تكن تظهر ثم تختفى ليظهر مابعدها ، بل ظهر كل شىء مرة واحدة فى نفس الوقت» .

المرض الشديد !

وفى الحالتين التاليتين ، بالرغم من أن الموت الاكلينيكى لم يتحقق ، إلا أن المرض الشديد أو المرور فى تجربة مثيرة ، كانا يقودان إلى نفس النتائج . قال أحد الأشخاص :

«تطورت المسألة كلها فجأة ، كنت مصابًا بحمى طفيفة ، أشكو من متاعبها على مدى أسبوعين . وفى تلك الليلة بالذات تدهورت

صحتى بشكل ملمـوس . كنت أستلقـى على سريـرى ، وأذكـر أننى كنت أحـاول أن أنادى زوجتى لأخبرها بسـوء حالتى ، لكنـى وجدت نفسى غير قادر على أى حركة . بعدها أحسست أننى أندفع فى فضاء شديد الظلام ، ثم بدأت أحداث حياتى تلتمع بشكل خاطف أمامى . بدأت من أحداث السادسة أو السابعة من عمرى ، وبخاصة علاقتى بزميل دراستى فى المدارس الإبتـدائية والثـانوية وطب الأسنـان ، الذى شاركنى نفس المهنة .

كـانت التماعـات مشـاهد حيـاتى تتم فى صـورة عقليـة . . كنت أدركها بعقلى مباشرة . . و مع هـذا فقد كانت تنبض بالحيـاة أكثر من الصـور الحية . كـان الأمر أشبـه بعرض فيلم سينمائى يجرى فى سرعـة خرافية ، ومع هذا كنت قادرًا على متابعة ما فيه ، وتفهم ما يتضمنه .

عنـدمـا استعـدت صحتى ، وجـدت أننى أستطيع أن أسرد كل صغيرة وكبيرة فى حياتى بشكل مفصل ودقيق ، الأمر الذى لم أكن أقدر عليه قبل أن أمر بهذه التجربة !! .

الخوف الشديد أيضًا !

أما هـذه التجربة فتختلف عن بـاقى التجارب السـابقة ، ذلك أن صـاحبها لم يمـر بتجـربـة الموت الاكلينيكى أو المرض الشديـد ، إنما خاض التجربة نتيجة للإحساس بالخطر الشديد . قال :

«وفى نهاية العام الأول بالكليـة ، عملت صيفًا كسائق لورى . وفى فجر أحـد الأيام كنـت أقود العـربة فى رحلـة طويلـة ، شعرت بـرغبة شديدة فى النوم . واكتشفت أكثر من مرة أن رأسى يسقط على صدرى من فرط النعاس .

وآخر ما أذكره ، هو إفاقتى على وجود حاجز من حواجز الطريق ، ثم لم أشعــــر إلا بصـــوت صفير الإطــــارات على الأرض ، وصـــوت انفجارهـا ، ثم ارتفاع العربة فى الهواء ، وانـدفاعها إلى جـانب الطريق نحو أحـد الكبارى . شعـرت بخوف شديـد ، إذ تأكدت أن العـربة لابد سترتطم بالكوبرى .

فى اللحظـات الخاطفـة التى كانـت فيها العـربـة تطير فى الهواء ، أخذت أفكـر فى كل ما فعلتـه خلال حيـاتى السابقة . كـانت بعض الأحداث تحتل مكـان الصدارة ، لكنها كـانت جميعًا تتصف بحيـوية فائقة .

رأيت نفسى وأنــا لم أتجاوز السنتين من عمـرى ، أتبع والدى وهـو يسير على الشـاطئ ثم تتـابعت بعـد ذلك أحـداث طفـولتى بترتيبهـا الزمنى . رأيت ما حدث لى عندما كسرت عربتى الصغيرة التى جاءتنى هديـة فى أعياد الميـلاد عندما كنت فى الخامسـة من عمرى . تـذكرت بكائى وأنـا ذاهب إلى المدرسة أول مرة ، مـرتديًا معطف المطـر الأصفر الذى اشترته لى والدتى تذكرت العديـد من أحداث الدراسة الإبتدائية

والثانويـة . . جميع المدرسين ، وبعض الأحداث المثيرة فى كل سنة من سنوات الدراسة .

كل هـذه الأشيـاء ، التمعت بشكل خـاطف مـع غيرهـا من الذكريات مجرد التماعة عـاجلة فى العقل . وتم كل شىء بسرعة فائقة ـ ولا أعتقـد أن هذا كلـه استغـرق أكثر من جـزء من الثـانية ، منـذ أن ارتفعت السيارة فى الهواء ، وحتى وجدت نفسى أقف على مقـربة منها أتطلع إليها . لقد ظننت ساعتها أننى توفيت ، وأخذت أقرص نفسى لأرى هل أنا حى أرزق أم صرت شبحًا ؟!!

كـانت العربـة قـد تحطمت تمامًا ، لكننى لم أصب بأى جـروح أو إصابات . ويبدو أننى اندفعت من فتحة الزجاج الأمامى ، الذى كان محطمًا تمامًا .

عندمـا هدأ كل شىء ، أخـذت أفكر فى غرابـة مـا حـدث لى ، ما رأيته مشاهد حياتى السابقة . لقد كان لهذا أثره الكبير على حياتى بعد ذلك » .

الفصل السابع

العودة إلى الجسد

هكذا . . تقترب التجربة من نهايتها ، فساعة الوفاة الحقيقية لم تحن بعد ، إنما كان الأمر نظرة خاطفة على عالم المجهول ، مجرد تلامس سريع مع حالة الموت وما يجرى بعد الموت . . . .

بعد الخروج من الجسد ، ولقاء الكائن النورانى . . وبعد استعراض مشاهد الحياة الماضية فى نظرة عابرة . . لابد من الرجوع إلى الجسد مرة ثانية . . فكيف تكون رحلةالعودة هذه؟ .

يقول الدكتور رايموند مودى ، إن بعض أصحاب التجربة ، ذكروا أنهم بعد المرور فى مراحل التجربة المختلفة ، واجهوا ما يشبه الحد أو الحاجز وكان هذا الحاجز يأخذ عدة صورة ، وفقًا لطريقة كل شخص فى تصويره . فى بعض الأحيان يوصف بأنه نوع من الضباب الرمادى يعترض طريق الشخص ، وفى أحيان أخرى يطلق عليه وصف باب أو سياج . . أو مجرد خط يفصل بين حياتين . والواضح أن اختلاف الأوصاف فى هذه الحالة يرجع إلى تباين طبيعة الأشخاص أصحاب التجربة ، عند وصفهم لظاهرة واحدة أصيلة .

دعنا الآن نستعرض بعض الروايات التى ظهرت فيها مرحلة الحد الحاجز بشكل متميز .

* «توفيت» فى أعقاب أزمة قلبية حادة . ما إن حدث ذلك، حتى وجدت نفسى أنطلق فى حقل واسع . كان المشهد جميلا، وقد اصطبغ كل شىء بلون أخضر ، لا يمكن مقارنته بأى شىء رأيته فى حياتى السابقة . كانت الأضواء من حولى جميلة . نظرت إلى الأمام عبر الحقل فرأيت سياجًا . بدأت أتحرك ناحية السياج ، فرأيت رجلاً على الجانب الآخر منه ، يتحرك وكأنه يسعى إلى لقائى . كنت أرغب فى الوصول إليه ، لكنى وجدتنى أنسحب إلى الخلف بشكل لا يمكن مقاومته . بمجرد أن حدث ذلك ، رأيته هو الآخر يستدير ، ويمضى فى الاتجاه الآخر ، بعيدًا عن السياج .

السفينة العائدة

وفى رواية أخرى ، تقول إحدى السيدات : «مررت بهذه التجربة عندما كنت أضع مولودى الأول . فى الشهر الثامن من أشهر الحمل ، أصبت بما وصفه الطبيب بأنه حالة تسمم.، وطلب دخولى المستشفى لإجراء اللازم . بمجرد وصولى إلى المستشفى حدث لى نزيف حاد ، وجد الطبيب مشقة كبيرة فى التحكم فيه . كنت أدرك حقيقة ما يحدث حولى ، ونظرًا لأنى أعمل فى مهنة التمريض ، فقد تحققت من مدى الخطر الذى اجتازه . عندها فقدت وعيى ، ثم سمعت أزيزًا ضايقنى وأحسست كما لو كنت أمضى على سطح سفينة أو زورق ، يندفع فى

مساحة ممتدة فى المياه . كنت أرى على الشاطئ البعيد كل أحبائى الذين رحلوا عن عالمنا ، أمى وأبى وأختى وآخرين . كنت أراهم ، وأميز وجوههم ، تمامًا كما عرفتهم فى حياتى السابقة . ظهر عليهم أنهم يشجعوننى على الاقتراب منهم ، وكنت طوال الوقت أصيح «لا . . لا . . لست على استعداد للحاق بكم ، لا أريد أن أموت . . لم أستعد لهذا . . » .

الغريب فى هذه التجربة أننى كنت طوال هذا أرى الطبيب والممرضات وهم منهمكون فى معالجة جسدى . . لكننى كنت أراهم من موقع المتفرج على المشهد ، وليس من موقع جسدى الممدد أمامهم . كنت أحاول جاهدة أن أقول للطبيب «أنا لن أموت !» لكن أحدًا لم يكن يسمعنى . لقد اختلط أمامى كل شىء . . . الطبيب ، الممرضات ، حجرة الولادة . . . السفينة . . الماء . . الشاطئ البعيد . كان كل شىء يختلط بالآخر ، كما لو كانت مشاهدة قد طبعت فوق بعضها البعض .

فى النهاية ، وعندما كادت السفينة تصل إلى الشاطئ ، وقبل أن يحدث هذا مباشرة ، استدارت السفينة ومضت مبتعدة عنه . ساعتها انطلق صوتى ليصل إلى الطبيب وأنا أقول له «لن أموت . . » . لقد قال لى الطبيب فيما بعد ، وأنه فى اللحظة التى سمع فيها صيحتى «لن أموت» ، كانت محاولات الإسعاف قد أثمرت ! .

عدالآن

وفى رواية ثالثةيقول أحد الذين مروا بالتجربة :

«أصبت بنوبـة قلبية ، فأحسست بنفسى فى فضاء أسود ، شـاعرًا أننى تركت جسدى المادى خلفى . كنت أعلم أننى أموت ، وفكرت : يـا إلهى ، لقـد فعلت فى حيـاتى أفضل مـا أستطيع ، فسـاعـدنى . تحركت خـارج ذلك الظـلام إلى فضـــاء رمـادى بـاهت ، ومضيت فى طريقى ، فـرأيت على البعد سحابـة رماديـة ، وأحسست أننى أندفع نحـوها . كـان يبـدو أننى لن أستطيع أن أمضى إليهـا بالسرعـة التى أتمناهـا . وعندمـا أصبحت قريبًا منها ، وجدتنـى أرى من خلالها . رأيت أشخاصًا خلف هذه السحـابة ، على نفس الصورة التى عرفتهم بها فى حياتهم ، وكنـت فى نفس الوقت أرى شيئًا أشبه بالمبنـى . كان كل شىء من حولى يشع بضوء غـاية فى الإدهاش ، وهج ذهبى أصفر حى ، لكنه على درجة من الـرقة لا تشبه لون الذهب الـذى نعرفه على الأرض .

كنت أقترب شيئًا فشيئًا ، وأحسست أننـى أعبر تلك السحـابـة الرمادية التى رأيتها من قبـل . كان يسودنى إحساس بفرح عجيب ، لن أجد فى قاموس كلمات اللغة مـا أعبر به عنه لكن . يبدو أن الوقت لم يكن قد حان لعبـور هذه السحابة ، فقـد ظهر لى من الجانب الآخر خـالى كارل الـذى كان قـد تـوفى منذ سنـوات . اعترض طريقى وهـو

يقول : عد من حيث أتيت ، فعملك على الأرض لم يكتمل بعد . . عد الآن . لم أكن أرغب فى العـودة ، لكن الخيـار لم يكن لى ، وعلى الفـور وجدت نفسى أعود مرة ثانية إلى جسدى المادى .

مقاومة العودة للجسد

يقول دكتـور رايموند مـودى إن الروايات قـد تباينت حول مـرحلة العودة إلى الجسد المادى . ومع هذا فـالانطباع العام فى أغلب الحالات عند اللحظات الأولى للموت ، هو رغبة مستميتة للعودة إلى الجسد ، والأسف الشديد لمفارقته .

لكن ، ما أن يمضى الشخص قدمًا فى تجربته ، حتى تنتهى عنده لـرغبة فى العـودة إلى الجسد ، ويصل الأمـر فى بعض الأحيان إلى حـد مقاومة العودة إلى الجسد . ويحدث هذا وفقـًا لدرجة معايشة صاحب التجربة للكائن النـورانى ، أو كما يقول أحدهم «لم أكن أرغب أبدًا فى مفارقة ذلك الكائن النورانى » .

الاستثنـاء من هـذه القاعـدة ، يكـون فى طبيعتـه ظاهـريـًا وليس حقيقيًا . فالنساء اللاتى مررن بهذه التجـربة وكان لديهن أطفال صغار وقت المرور فى التجربة ، قلن أنه بينما كن فى أعماقهن يفضلن البقاء فى حياتهن الجديـدة ، إلا أنهن شعرن بالتزام من قبل أطفـالهن الصغار ، يدفعهن إلى العودة إلى أجسادهن . تقول إحداهن :

«كنت مترددة فى أن أبقى هنـاك ، لقـد تـذكـرت عـائلتى وأبنـائى الثـلاثـة وزوجى . كـان ذلك أصعب مـا فى التجـربـة ، فبعـد ذلك الشعور العجيب الـذى سادنى فى مـواجهة الكـائن النورانى ، لم أكن أرغب فى العودة إلى جسدى . ولما كنت فى حياتى السـابقة قد تعودت على أن آخذ مسؤلياتى مأخذ الجد ، فقد شعرت بالتزام من قبل عائلتى . لذا فقد استقر قرارى على محاولة العودة إلى الجسد » .

فى حـالات أخـرى عديـدة ، قـال الأشخـاص إنه ، بـالـرغم من إحساسهـم بالـراحة والاطمئنان فى حـالتهم الـلا جسديـة الجديدة ، ورغم استمتـاعهم بها ، شعـروا بسعـادة عند عـودتهم إلى أجسـادهم المادية ، حيث كان فى انتظـارهم من الأعمال ا لهامـة ما لم يتم إنجـازه بعد .

والعـودة إلى الجسـد ، أخـذت فى روايـات الأشخـاص أكثـر من شكل ، فقال أحدهـم :

«كنت خـارج جســدى ، وأحسست أننى مطـالب بـاتخاذ قـرار عاجل . إما أن أبقى خارج الجسد فـلا أستطيع أن أعود إليه ثانية ، أو أن أحسم أمرى وأعـود إلى جسدى . كانـت الحياة الجديدة جـذابة ، وكنت أحس بالرغبة الشديـدة فى البقاء فيها ، لكننى شعرت أن أمامى الكثير من الأعمال الطيبــة التى يجب علىّ أن أنجــزهــا على الأرض ، وهكذا عدت إلى جسدى» .

وقال آخر :

«كنت أطفو فوق مائدة العمليات ، وأرى كل ما يجرى لجسدى ، كنت أعلم أننى أموت ، ومع هذا كنت مشغولاً بالتفكير فى أولادى ، مَنْ الذى سيرعاهم بعد وفاتى . هكذا لم أكن مستعدًا لمفارقة جسدى ، وأحسست أن الله يسمح لى بمواصلة حياتى » .

وفى قليل من الحالات ، أفاد أصحاب التجربة أن حب وصلوات الأخرين كانت عاملاً هامًا فى عودتهم إلى أجسادهم ، بصرف النظر عن رغبتهم الشخصية ، قالت واحدة من الشهود :

«حدث ذلك أثناء المرض الأخير لعمتى الكبرى ، كانت قواها متداعية ، وكنت ألازمها لأرعاها ، وأثناء ذلك كان كل أفراد الأسرة يصلون من أجلها ، ومن أجل أن تستعيد صحتها . توقف نفسها لعدة مرات وتم إسعافها وفى النهاية ، نظرت لى ذات يوم ، ثم قالت : جين . . لقد كنت هناك فوق . . الحياة هناك جميلة . كم أود أن أمضى إلى هناك ، ولكنى لا أستطيع طالما بقيتم على صلواتكم من أجل أن أبقى معكم . إن صلواتكم تبقينى معكم . أرجوكم . . أوقفوا هذه الصلوات . . .

توقفنا كلنا عن الصلاة . وبعدها بقليل ماتت عمتى » .

الطريق إلى الجسد

يقول دكتور رايموند مودى ، إن قليلاً هم الذين أدركوا لحظة العودة إلى الجسد ، فمعظم أصحاب التجربة يقولون إنهم فى نهاية تجربتهم ، أحسوا أنهم ناموا ، أو غابوا عن وعيهم ، ليفيقوا بعد ذلك فى جسدهم المادى . قال أحدهم :

«لا أتذكر لحظة عودتى إلى جسدى . كان يبدو أننى غبت عن الوعى أو نمت ، ثم أفقت فجأة لأجد نفسى داخل جسدى . ووجدت من فى الغرفة حولى ، حيث هم عندما كنت خارج جسدى ، أنظر إليهم من أعلى » .

ومن ناحية أخرى يتذكر البعض انسحابهم بسرعة داخل الجسد فى حركات مهتزة ، عند نهاية التجربة ، يقول أحدهم :

«كنت أتواجد هناك ، قريبا من السقف ، أشاهد ما يفعلونه بجسدى . وعندما وضعوا جهاز الصدمات الكهربائية على صدرى ، ورأيت جسدى يتقافز من أثر الصدمات الكهربائية ، و جدت نفسى أسقط كالجسم المادى الثقيل ناحية جسمى ، ثم شعرت بنفسى داخل الجسد» .

وفى بعض الحالات النادرة ، قال البعض إن الدخول إلى الجسد كان من خلال الرأس ، يقول أحدهم :

«كان يبـدو أن كيانـى له نهايـة كبيرة وأخرى صغيرة . وقـرب ختام التجربـة ، كان كيانى معلقـًا فوق رأسى ، ثم أحسست بـه يدخل إلى جسدى من ناحية الرأس .

عندما خـرج كيانى من جسدى ساعة الحادث . . كـان كما لو أنه خرج بالنهاية الكبرى أولاً ، أما عـودة كيانى إلى جسدى ، كان دخول النهاية الصغرى فى البداية » .

أسبوع البكاء

ومن الطبيعى أن تستمر المصـاحبة للتجربة لبعض الـوقت بعد أن يتم إسعـاف الشخص بنجـاح . الأمر الـذى يظهـر فى كلمات أولئك الذين مروا بالتجربة :

* بعـد عـودتى إلى جسـدى ، أخـذت أبكى . . وأبكى . . لمدة أسبوع وذلك عندما أحسست بضرورة عودتى إلى حياتى السابقة ، بعد أن شهـدت الحياة الأخـرى . لم أكن أرغب بتاتـًا فى العودة إلى حيـاتى السابقة .

* عندما عدت إلى جسدى ، عدت ببعض الخبرات المدهشة التى مارستها أثناء هذه التجربـة ، بقيت لدىّ لعدة أيام تالية . وحتى الآن ما زلت أستعيدها بين الحين والآخر .

* لقـــد كـانت مشـــاعـــر التجـربـــة أقـــوى من أن تضيع أو أن تنمحى . لقد بقيت معى بطريقـة ما . لم تتبدد ذكراهـا أبدًا . وما زلت حتى الآن أفكر فيها كثيرًا .

الفصل الثامن

أسئلة وأجوبة

حول ظاهرة الخروج من الجسد

بعد أن انتهينا من وقائع هذه التجربة المثيرة التى يمر بها أولئك الذين يقتربون من حافة الموت . نطرح فى هذا الفصل بعض التساؤلات التى تثار عادة حول هذا الموضوع ، والتى واجهها دكتور رايموند مودى صاحب الدراسة عندما كان يلقى محاضراته حول هذه الدراسة .

وإجابات دكتور رايموند مودى على هذه التساؤلات تلقى مزيدًا من الضوء حول هذا الموضوع .

*** ما هى درجة شيوع تجربة الاقتراب من الموت ؟ ألا تعد الحالات التى تحكى عنها من الحالات النادرة ؟ .**

ـ أعترف أنه من واقع الحالات التى درستها ، لا يمكن إعطاء تقدير إحصائى سليم عن مدى شيوع الظاهرة . لكننى واثق من أن درجة تحقق هذه التجربة ، تتجاوز بكثير تقدير من لم يتعرض لدراستها . لقد أعطيت العديد من المحاضرات فى هذا الموضوع ، لجماهير متباينة فى عددها ونوعيتها . وكان يحدث دائمًا أن يجيئنى فى

نهاية المحـاضرة واحد أو أكثـر ليعترف أنه قـد مر بهذه التجـربة ، وفى بعض الأحيان كـان يقف فى نهاية المحاضرة ليروى تجربته عـلانية أمام جمهور المحاضرة .

وفى كثير من الأحيـان ، كان أولئك الـذين يتحدثـون عن تجربتهم يجهلون موضوع المحاضرة عندما جاءوا لحضورها . كنت ألقى محاضرة حول الموضوع فى مجموعة من الأشخاص لا تزيد على ثلاثين شخصًا ، فتقدم اثنان منهم ليسردا تجربتهما الخاصة فى الاقتراب من الموت ، وقد قـالا إنهما جاءا إلى المحـاضرة باعتبـارهـا أحد نشـاطات الجماعـة التى ينتسبان إليها ، ولم يكونا يعرفان موضوع المحاضرة .

* إذا كانت تجربة الاقتراب من الموت شائعة إلى الدرجة التى تحكى عنها ، لماذا لم تُعرف هذه الظاهرة على نطاق واسع من قبل ؟

ـ هناك عدة أسباب . أولها وأهمها ، هو أن الشعور العام السائد فى مجتمعنا الغربى يقف ضد فكـرة وجود حياة بعد الموت . والأشخاص الـذين يمـرون بهذه التجربـة يحجمـون عن الإفصـاح عنها ، خشيـة اتهامهم بالخبل والتخريف ، وهم عادة يقتصرون فى روايتها على فرد أو اثنين من أقرب الأقرباء أو الأصدقاء .

والسبب الثانى يتصل بمـدى اهتمامنا عادة بما يجرى حـولنا . كثير مما يمـر علينا فى حياتنا اليـومية من أحداث ، يعبر بنـا دون أن يهضمه عقلنـا الواعى ، فإذا مـا تأكد إدراكنـا لهذا الحدث من خلال ظـروف

دامية مثيرة ، نصبح بعد ذلك أكثر انتباهًا لنفس هذا الحدث عندما يمر بنا مرة ثانية . مثال ذلك علاقتنا بمفردات اللغة ، بعض الكلمات نقرأها ثم نقفز فوقها إذا لم نكن نعرف معناها . ولكن ما تجد ظروف تسمح لنا بفهم معنى هذه الكلمة ، حتى نلاحظ أن مرورنا عليها أصبح يتكرر بشكل ملفت فى الأيام التالية . وتفسير ذلك أن معدل مرورنا بالكلمة كان وظل واحدًا ، لكن بعد أن فهمنا معناها ، أصبحنا أكثر انتباهًا لوجودها .

فى محاضرة أخيرة لى ، وقف أحد الأطباء وقال «لقد عملت لسنوات طويلة كطبيب ، فإذا كانت الظاهرة التى تحكى عنهاعلى هذه الدرجة من الانتشار ، لماذا لم أسمع عنها من قبل ؟» ، وليقينى أن أحد الحاضرين لا بد قد سمع عن هذه التجربة من قبل أو مر بها شخصيًا . فقد توجهت بسؤال الطبيب إلى الحاضرين . هنا ، وقفت زوجة الطبيب الجالسة إلى جواره ، وحكت التجربة كما مرت بها صديقة حميمة لها .

هل كذبوا؟!

* كيف نعرف أن هؤلاء الذين أقمت دراستك على رواياتهم ، لم يكذبوا عليك ؟

ـ يسهل طرح هذا السؤال على من لم يعايش الاتصال بأصحاب هذه التجربة . لكن بالإضافة إلى رأيى الخاص فى الموضوع ، فإن الاتفاق الغريب فى تفاصيل التجربة يستبعد فكرة الاختلاق . كيف يتفق هذا العدد الكبير من الناس ، الذين يختلفون فى نشأتهم وموطنهم والتكوين الثقافى والاجتماعى لهم ، كيف يتفقون فى كذبة واحدة بكل تفاصيلها الدقيقة ، طوال الثمانى سنوات التى أجريت على مداها دراستى .

* ألا يمكن ، لو لم يكونوا يكذبون ، أنهم قد تخيلوا ما جرى لهم ، ثم صدقوه بعد تثبيته فى عقولهم عامًا بعد عام ؟

ـ هذا السؤال يشير إلى ظاهرة سيكلوجية معروفة ، عندما يبدأ الشخص برواية قصة مختلقة ، ثم يروح يرددها على مر الزمن ، وفى كل مرة يضيف إليها المزيد من التفاصيل الحية ، حتى ينتهى به الأمر إلى تصديقها ، والإيمان العميق بحدوثها .

لا أظن أن هذه الظاهرة السيكلوجية تنطبق على موضوع دراستى . أولاً، لقد قمت بتسجيل التجربة فى كثير من الحالات بعد حدوثها بزمن قصير ، وفى بعض الأحيان بينما كان الشخص ما زال راقدًا فى المستشفى فى مرحلة النقاهة . وقد جاءت الرواية فى هذه الحالة مطابقة

للروايات التى تحكى عن التجربة كما حدثت للأشخاص منذ عشرات السنين .

وفى كثير من الحالات التى درستها ، اعتمدت على مذكرات كتبها الشخص بعد أن مر بالتجربة مباشرة ، وهنا أيضًا تطابقت مراحل التجربة المختلفة .

العقيدة الدينية

* هل الذين أجريت عليهم دراستك كانوا يؤمنون بدين من الأديان عندما مروا بالتجربة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، ألا ترى أن وصفهم للتجربة قد تشكل وفقًا لخلفيات عقائدهم الدينية ؟

ـ لقد ذكرت أثناء طرحى لمراحل التجربة ، بعض الروايات التى كانت فيها الخلقية الدينية سببًا فى إطلاق بعض المسميات الدينية على بعض مظاهر التجربة ، كما حدث عندما وصف البعض الكائن النورانى بأنه «المسيح» . ولكن خلال دراستى لهذه الظاهرة ، لم أسمع إشارة واحدة للجنة أو النار بالصورة الشائعة لتصوراتها فى مجتمعنا . قالت إحدى النساء اللاتى مررن بتجربة الاقتراب من الموت «لقد سمعت دائما أنه عندما نموت ، نرى كلاً من الجنة والجحيم ، لكنى لم أر أيًا منهما» . وقالت أخرى « الغريب فى الموضوع أننى تعلمت منذ طفولتى ، ومن خلال تربيتى الدينية ، أنه فى اللحظة التى يموت فيها

الشخص ، يعبر البـوابات الجميلـة المتـلألئة . لكنى وجـدت نفسى أحـوم حـول جسـدى ، وليس أكثـر مـن ذلك . . وكـان هـذا مثـارًا لحيرتى» .

هذا بالإضافة إلى أن الرواية الكاملة للتجربة فى كثير من الأحيان ، جاءت على لسان أشخـاص لم تكن لديهم أية عقيدة دينيـة . أو تربية دينية سـابقة على حـدوث التجربـة ، ومع هذا لم تختلف روايـاتهم عن روايات أولئك الـذين يتمتعون بإيمان دينى قوى . وفى حـالات قليلة ، كان الشخص قبل حدوث التجربـة ، رافضًا للعقائد والأديان ، لكن مـا أن مر بـالتجربـة ، حتى عـاد إلى حسه الـدينى وبدرجـة كبيرة من العمق . كما قال البعض إنهم قرأوا الإنجيل ، ولكنهم لم يفهموا حقيقة بعض ما جاء به ، إلا بعد مرورهـم بتجربة الاقتراب من الموت .

محاولة الانتحار

* هل جرى أن درست حالـة الاقتراب من الموت فى أعقاب محاولة انتحـار ؟ وإذا كان قـد جـرى هذا ، فهل تختلف التجـربـة فى حالـة الانتحار ؟ .

ـ لقـد قمت بالفعل بـدراسة بعض الحالات التى تمـت فيهـا محاولة انتحـار ، ولقـد اكتشفت أن جميع هـذه الحالات تـرتبـط بشعـور من الضيق ، وقد وصفت بأنها تجربة سيئة .

قالت إحدى السيدات فى التعبير عن هذا «إذا أنت تركت الأرض بروح معذبة ، فستمضى إلى هناك أيضًا كروح معذبة » . باختصار ، أفاد هؤلاء أن الصراعات التى دفعتهم إلى ارتكاب محاولة الانتحار هربًا منها ، بقيت تواجههم عندما مروا بتجربة الاقتراب من الموت ، ومع مزيد من التعقيدات ، فهم فى حالتهم اللاجسدية لم يكن بمقدورهم أن يجدوا حلاً لمشاكلهم ، بل كانت تواجههم أيضًا العواقب الوخيمة لفعلتهم .

لقد ضرب رجل نفسه بالرصاص بعد موت زوجته ، ونتيجة لهذا مر فى تجربة الموت ، ثم جرى إسعافه ، وقال بعد ذلك :

« لم أذهب إلى حيث ذهبت زوجتى . . لقد مضيت إلى مكان مريع . . واكتشفت على الفور الغلطة التى ارتكبتها ، وفكرت . . لم يكن سليمًا أن أرتكب هذا الخطأ . . » .

وقال بعض من مروا بهذه التجربة السيئة ، إنهم شعروا باستمرارهم فى حالة الضياع لزمن طويل ، وإن هذا سيكون عقابهم على «كسر القواعد ومخالفتها» ، بمحاولتهم إنهاء حياتهم ، والإخلال بالتزامهم للأعمال التى أوكلت إليهم فى حياتهم على الأرض .

عند مناقشتى لهذه القضية ، لا أضع حكمًا أخلاقيًا ضد الانتحار، لكننى أسجل ما قاله أولئك الذين مروا بالتجربة . وأنا أعمل حاليًا فى إعداد دراسة خاصة جديدة حول تجربة الاقتراب من الموت ، سيجرى

فيها بحث الحالات الناتجة عن محاولات الانتحار بشكل موسع .

السجلات الطبية

* هل أجريت تحقيقًا حول السجلات الطبية لأولئك الذين درست حالة اقترابهم من الموت ؟

ـ كلما أمكن ذلك . وفى الحالات التى تمكنت فيها من الاطلاع على السجل الطبى للشخص ، والاتصال بالأطباء المعنيين ، جاءت نتائج هـذا مطابقـة لروايـات أصحاب التجـربة . ولكنى فشلت فى هـذا ، بالنسبـة لبعض الحالات التى مضى عليها وقت طـويل ، أوا لتى توفى فيهـا الطبيب أو الأشخـاص الـذين قـاموا بجهـود الإسعـاف . لقـد وجدت تطابقًا فى روايات الذين تحققت من سجلهم الطبى، والذين لم يتيسر ذلك بالنسبة لهم .

وفى بعض الحالات التى لم يتيسر فيها الاطـلاع على السجل الطبى للشخص ، لجأت إلى شهادة أقـربائه أو أصدقـائه أو أطبائه ، للتثبت من مروره بتجربة الاقتراب من الموت .

متى يفسد المخ ؟

* سمعت أنـــه بعـــد خمس دقـائق يصبح إسعـــاف الشخص

مستحيلاً، ولكنك ذكرت فى بعض الحالات ، أن جهد الإسعاف تم بعد ٢٠ دقيقة ، فكيف تفسر ذلك ؟

ـ معظم ما يشيع من تقديرات زمنية لبعض المسائل الطبية ينصب على المتوسط الزمنى بشكل عام . وفترة الدقائق الخمس التى تتكلم عنها هى المتوسط الشائع . فمن القواعد الشائعة بين رجال الطب ، أن جهد الإسعاف بعد مرور خمس دقائق على وفاة الشخص لا يأتى بنتيجة إيجابية ، لأن المخ يطرأعليه الفساد نتيجة لنقص غاز الأوكسجين بعد هذا الزمن . ومع كل هذا ، فقد أثبتت بعض الحالات خروجًا على هذا القاعدة .فبعض الحالات تم إسعافها فعلاً بعد ٢٠ دقيقة من الوفاة الاكلينيكية دون أن يطرأ أى خلل على المخ .

معنى الموت

* هل تعتبر الأشخاص موضوع دراستك ، قد ماتوا فعلاً؟

ــ هذا يتوقف على معنى كلمة «الموت » ، كما قلت فى كتابى ، تتباين فيه الأقوال ، ليس بين العامة فحسب ، ولكن بين الأطباء المحترفين . وقد سبق أن أشرت إلى بعض علامات الموت الاكلينيكى «أو الموت الطبى » ، والتى تقضى بتوقف نبض القلب ، وخفوت التنفس لفترة طويلة ، وأنخفاض ضغط الدم لدرجة لا يمكن معها قراءته ، واتساع إنسان العين ، و تناقص درجة حرارة الجسم باطراد . هذا هو التشخيص الطبى للموت ، وهو ما يجرى عليه الأطباء عند

تحديد حـالة الموت ، وإصدار شهادة الـوفاة على مدى قرون طـويلة . بهذا المعنى ، يكون الأشخاص الذين درست حالتهم قد ماتوا فعلاً .

غير أن هنـاك أكثر من قيـاس حديث لحالـة الموت ، مثلا اختفـاء الموجات الكهربائية للمخ . وفى أغلب الحالات التى درستها ، كانت عملية إسعـاف الشخص تحظى بالأولـوية ، مما لم يكـن يسمح بإجراء قياس كهرباء المخ بأجهزتـه وتعقيدات هذه الأجهزة . ومع هذا ، ففى بعض الحالات التى اختفت فيهـا مـوجـات المخ الكهـربـائيـة نتيجـة لتعاطى جرعات قوية من العقاقير أثرت على الجهاز العصبى المركزى ، قد أمكن إسعافها طبيًا .

وأخيرًا ، هناك التعريف القـائل بأن الموت لا يتم إلا بعد أن تفشل كل جهود الإسعاف ، وبصرف النظـر عن علامات الموت الاكلينيكى أو نتائج أجهزة قياس كهرباء المخ . فى هذه الحالة لا يمكن اعتبار أى من الذين درست حالاتهم قد مـر بتجربة الموت ، ذلك لأنهم جميعًا قد جرى إسعافهم .

لقـد تطورت أسـاليب الإسعـاف الطبية على مـر الـزمن ، وأولئك الذين أجـريت عليهم دراستى ، لو أنهم كـانوا قـد مروا بحـالة الموت الاكلينيكى منذ عدة قرون لما أمكن إسعاف أى منهم . وفى المستقبل ، لا ريب ستتطور الخبرات الطبية بحيث يمكن إسعاف بعض الذين لا يمكن إسعافهم اليوم .

دعنـا إذن نفترض أن الموت هـو انفصـال العقل عن الجسـد، وأن العقل يمر فى حـالة أخـرى من الوجود عنـد هذه النقطـة . ومن هذا نفترض وجـود نظام يسمح للـروح أو العقل بالتحـرر من الجسد عنـد لحظة الموت، وليس هناك ما يؤكد ، وفقًا لما تحت يدنا من معلومات ، إن هـذا الخروج يكـون بـلا رجعـة . وقـد يتم قبل حـدوث أى ضرر للجسم المادى ، الأمر الذى سبق أن استعرضنـاه فى حالة الأشخاص الذين مـارسوا الخروج من الجسد ، لمجرد إحساسهـم بالخطر والخوف الشديدين، وقبل أن تحدث لأجسادهم أى إصابة .

الخروج من الجسد بلا موت

هكـذا ننتهى من استعـراض دراسة دكتـور رايمـونـد مودى حـول «الحياة بعـد الموت » ، أو حول تجربة أولئك الـذين مروا بتجـربة الموت الاكلينيكى ، ثم جرى إسعافهم .

وتأكيدًا لإجـابته عن السؤال الأخير فى هذه الحلقـة ، حول إمكان حدوث ظاهرة الخروج من الجسد قبل حـدوث إصابة البدن ، ونتيجة للإحسـاس بالخطـر والخوف الشديـدين ، قدمت فى كتـاب من هذه السلسلة «الإدراك الطليق » عرضًا للدراسات التى قام بها عالم آخر هو دكتور أندريـا بوهاريش أستاذ علـم الأعصاب بجامعـات شيكاغو ، والذى تفرغ بعد ذلك لإنشاء معمل خاص لدراسة حواس الإدراك غير العادى أو الخارق عند الإنسان .

الفصل التاسع

الخروج من الجسد .. تاريخيا

عندما نستعرض الكتابات والتصورات القديمة لمراحل الوفاة الأولى ، سيثير دهشتنا ذلك التقارب الشديد الذى يصل إلى حد الموازاة مع تجربة الاقتراب من الموت ، كما وصفناه فى هذا الكتاب .

وفيما يلى بعض النماذج التاريخية لهذه الكتابات ، من واقع محاولات أفلاطون ، وكتاب الموتى عند أهل التبت . . وأخيرًا العالم السويدى سويد ينبورج الذى عاش فى استوكهلم فى القرن الثامن عشر .

رؤية أفلاطون

من بين الذين كتبوا حول هذا الموضوع الفيلسوف الإغريقى أفلاطون فى محاوراته المعروفة . يصف أفلاطون الموت بأنه : انفصال الشق اللا جسدى من الإنسان الحى ، أو بمعنى آخر انفصال الروح عن الجسد ويقول إن ذلك الشق اللا جسدى فى الإنسان يتحرر من كثير من القيود التى تحكم الجسم المادي .

ويناقش أفلاطون فى محاوراته أكثر من مرة موضوع انفصال الروح عن الجسد ، واحتمال أنها تلتقى بالأرواح المحررة للآخرين ، وأن الروح تعبر الممر بين الحياة المادية والحياة التالية بمساعدة الأرواح المرشدة .

ولعل أكثر كتاباته تطابقًا مع ما ورد فى هذا الكتاب ، هو ما جاء فى الكتاب الخامس من جمهوريته .

يحكى أفلاطون أسطورة الجندى الإغريقى (ار) . شارك ار فى إحدى المعارك الحربية التى قتل فيها عدد كبير من الجنود الإغريق . وعندما توجه بعض الجند إلى أرض المعركة لنقل جثث الموتى . . كان جثمان أر من بين هذه الجثث . سار الجند بضحايا المعركة فى موكب جنائزى تمهيدًا لحرق الجثث ، عادت الحياة إلى جسد ار ، ووصف ما شاهده فى إطلالته القصيرة هذه على عالم الموتى .

قال ار إن روحه خرجت من جسده فى أول الأمر ، وانضمت إلى باقى الأرواح الموجودة فى أرض المعركة ، واتجهوا إلى مكان يشبه الممر أو النفق ، يقود من الحياة الدنيوية إلى الحياة الأخرى . عند هذه المرحلة توقفت الأرواح وجرى اختبارها على يد مخلوقات سماوية ، يمكنها أن ترى بنظرة واحدة فى عرض كامل كل ما فعلته الروح فى حياتها الأرضية . لكن الجندى ار لم يجر امتحانه مع الآخرين ، وقيل له إن عليه أن يرجع إلى جسده ليخبر البشر فى عالمهم المادى، ما رآه من معالم العالم الآخر.

وبعد مشاهدة بعض معالم ذلك العالم ، أعيدت روح ار ثانية إلى جسده ، ولكنه قال إنه لا يدرى شيئًا عن الطريقة التى أعيدت بها روحه إلى جسده . لقد أفاق بمنتهى البساطة ليجد نفسه

فــوق محفة الموكب الجنائزى وسط عدد من الجثث .

ومن المفيد هنـا أن نشير إلى أن أفلاطون يحذرنا من أن نأخـذ قصته هذه مأخذًا حرفيـًا . . وأن الأمر لا يخرج عن كونه «احتمالاً على أفضل الأحوال » . وهو لا يبدى شكًا فى أقوالـه حول اتصال الحياةبعد موت الجسد ، ويشير إلى أن محاولة شرح تفاصيل الحيـاة الأخرى تواجهها فى حياتنا المادية هذه صعوبتان .

أولاً : إن أرواحنا فى هـذه الحياة تكـون حبيسة الجســد ، لذا فهى محدودة بما يمكن أن تمارســه أو تتعلمه عن طـريق الحواس . والحواس الخمس ، النظـر والسمع واللمس والتـذوق والشم ، كل واحدة منهـا تخدعنا بطـريقتها الخاصة . عيـوننا يمكن أن تحيل الجسم الضخم إلى شىء صغير إذا ما كان ذلك الشىء بعيدًا عنها ، كما يمكننا أن نخطئ فى سماع ما يقـوله الآخرون . . وهكـذا . وهذا يقودنـا إلى تكوين آراء زائفة أو أخذ انطبـاعات خاطئة عـن جوهر الأشياء . ولـذا فالروح لا يمكن أن تـرى الحقيقـة كما هى إلا بعـد أن تتحـرر من الجسـد ، ومن حواسه .

ثانيـًا : يقول أفـلاطون إن اللغـة ، فى حد ذاتها ، غير قـادرة على تصويـر الحقائق الكليـة مباشرة . فـالكلمات تحجب الطبيعة المكنـونة للأشياء أكثر مما تكشفهـا . ومن هنا ، لا يمكن للكلمات اللغوية أن تفعل أكثر من الاشارة إلى حقائق مـا يتجاوز حدود العالم المادى ، عن

طريق التشبيه، أو من خلال الأساطير ، وبطريقة غير مباشرة

كتاب الموتى التبتى

ترجع أصول هذا الكتاب إلى تعاليم الحكماء الذين عاشوا فى التبت على مدى القرون منذ ما قبل التاريخ ، وقد جرى تناقلها شفاهًا حتى واصلت انتقالها من جيل إلى جيل . وفى حوالى القرن الثامن الميلادى، تم تدوين هذه التعاليم ، وإن كان حكماء التبت قد حرصوا على إخفاء الكتاب حتى لا يصل إلى أيدى الغرباء .

والكتاب ينظر إلى الموت باعتباره مهارة من المهارات . . عملية إما أن تتم بفنية وحرفة أو تتم بطريقة ارتجالية عشوائية ، وفقًا لمدى تمتع الشخص بالمعارف الأساسية حول موضوع الموت . ولهذا كان يجرى قراء مواد الكتاب كطقس من الطقوس الجنائزية ، وقراءتها للشخص الذى يجتاز مرحلة الاحتضار . ومثل هذا الطقس يؤدى وظيفتين : الأولى مساعدة المحتضر على تذكر طبيعة المراحل التى يدخل فيها . والثانية مساعدة الأحياء على التفكير الإيجابى ، و عدم التشبث بالمتوفى وتقييد روحه نتيجة التعلق الشديد به وإظهار عواطفهم الذاتية ، حتى يمكن أن تمضى روح المتوفى إلى الحياة الأخرى فى حالة يقظة كاملة ، متخلصة من قيود العالم الأرضى .

ولتحقيق هذه النتيجة ، يتضمن الكتاب وصفًا مطولاً لمختلف

المراحل التى تمضى خلالها الـروح بعد الموت . والصلات التى بين المراحل الأولى للموت ، الأمر الذى سنراه مطابقًا للشهادات التى حصلنا عليها من أولئك الذين مروا بتجربة الاقتراب من الموت .

يقول كتاب الموتى التبتى : إن أول ما يحدث هو خروج عقل أو روح المتوفى من جسده . ولفترة ما بعد هذا تبقى الروح فى حالة (إغماء)، ثم تجد نفسها فى أعقاب ذلك فى الفراغ . . ليس الفراغ المادى الذى نعرفه فى عالمنا ، لكنه نوع من الفراغ يخضع لمواصفات لا يمكن تصويرها ماديًا ، وعندما يصل العقل أو الروح إلى هذا الفراغ ، يكون الوعى كاملاً . وهو فى هذه المرحلة قد يسمع إنذارًا أو تصله بعض الأصوات المزعجة ، التى توصف بأنها كهدير الرعد ، وكذلك أصوات أخرى كصفير الرياح . وعادة ما يجد الشخص نفسه محاطًا بغلاف من الإضاءة الضبابية ذات لون رمادى .

هنا ، تظهر الدهشة على الشخص عندما يجد نفسه خارج جسمه المادى . وهو يرى أقرباءه وأصدقاءه يلتفون حول جسده ، ويسمعهم يبكون عليه ، ويعدون جسده للجنازة ، وعندما يحاول أن يستجيب لهم ، يكتشف أنهم لا يرونه أو يسمعونه . فهو حتى الآن لا يفهم أنه قد مات ، لهذا تختلط عليه الأمور . وبعد أن تنتهى تساؤلاته ، يتأكد فى نهاية الأمر من موته ، تصيبه الحيرة . . إلى أين يمضى ؟ . . ما الذى يجب عليه أن يفعله ؟ . وهو هنا يشعر بالأسف والاكتئاب

لحاله، ويميل إلى الإقـامة فى المكان المادى الـذى تعوّد عليه فى حيـاته الدنيوية .

يلاحظ الشخص بعد هذا أنه ما زال يتمتع بجسم ما . . جسم من نـوع خاص ليست لـه طبيعة مـادية ، وهـو يسمى الجسم «البراق» . ويكتشف أنـه بجسمـه الجديـد هـذا ، يستطيع أن يخترق الصخـور والحوائط والجبال أيضًا بلا أدنى مقاومة ، والانتقال من مكان إلى مكان آنيًا . عنـدما يفكر فى الذهـاب إلى مكان ما، للتـو يجد نفسه فى ذلك المكـان . وهـو يشعـر بأنـه يخفف مـن الكثير من القيـود التى كـانت مفروضـة على أفكاره وإدراكه فى حيـاته الأولى ، فالعقل أشـد صفاء، والحواس أكثر حدة ودقـة وقدرة على استيعاب الطبيعة المقـدسة للعالم الذى يجتازه .

إذا كان فى حياته الأولى كفيفًا أو أطرشًا أو مشلولاً ، يفاجأ بالكمال الخالص لجسده المضىء الجديد . وهو قد يتعرف على مخلوقات أخرى على نفس هيئته ، وقد يلتقى بالكـائن الذى يطلق عليه الضوء الصافى أو الخالص . وينصح التبتيـون المتـوفى أن يبـدى فقط مشـاعـر الحب والتعاطف تجاه الآخرين عند لقاء ذلك الكائن النورانى .

ويصف الكتاب أيضًا مشـاعر السلام الكامل والـرضا المطلق التى تسود المتوفى ، وكذلك يصف نوعًا من « المرايـا » يرى فيه المتوفى حياته الكاملة، كل أفعاله الخيرة والشريرة تنعكس حية أمامه وأمام الكائنات

التى تـحكم عـليه . وهنا يصبـح مـن المستحيل تـزييف أى واقعـة أو تـحريفها أو الكذب بشأنها .

ويمضى كتاب الموتـى التبتى بعد ذلك إلى وصوت المراحـل التالية التـى لا تدخـل فى نطـاق اهتمامنا ، فـى هـذا الكتاب . لكـن المثير للدهشة هو ذلك التطابـق بين تصور الكتاب للمراحل الأولى للموت وما رواه أولئـك الذين مـارسوا تـجربة الاقتراب مـــن الموت ، كما جاء على صفحات هذا الكتاب .

امانويل سويد ينبورج

ولد سـويد ينبورج فى استـوكهلم عام ١٦٨٨ وتـوفى عام ١٧٧٢ . كـان معروفًـا فى حياتـه بإنجـازاته الكبيرة فى عـدة مجالات من العلـوم الطبيعية . كانت كتـاباته فى بداية الأمر تنصـب على علوم التشريح ، ووظائف الأعضــاء ، وعلم النفس . وقـد حظى بسمعة علميـة طيبة بفضل هذه الكتابات . وفى أيامه الأخيرة ، مر الرجل بأزمة دينية ، ثم بدأ بعدها يحكى عن خبرات يمر بها . ويتصل فيها بمخلوقات روحية من العالم الآخر.

وقد تركزت كتاباته بعد ذلك على وصف ما يحدث بعد الوفاة . وفى هذه الحالة أيضًا نـرى ذلك التطابق الغريب بين مـا تكلـم عنه ، وبين حصيلة الروايات التى درسها رايموند مودى . يقول سويد ينبورج عما

يحدث عندما تتوقف أجهزة الجسم التنفسية والدورية :

حتى ذلك الوقت لا يكون الإنسان قد مات تمامًا ، لكنه يكون قد انفصل عن شقه الجسدى الذى كان يعتمد عليه فى حياته الأرضية . . فالإنسان عندما يموت ، لا يفعل أكثر من أن يمر من عالم إلى عالم آخر . . » .

ثم يحكى عن تجربة اقترابه هو من الموت ، وممارسته لظاهرة الخروج من الجسد ، فيقول :

«وصلت إلى حالة من عدم الإحساس بالمشاعر الجسدية ، داخلاً فى حالة الموت . وقد بقيت حياتى الفكرية الخاصة بشكلها الكامل ، فكان بإمكانى أن أدرك وأتذكر ما مر بى من خبرات ، خبرات من يقترب من حالة الموت الكامل ثم يجرى إنقاذهم . . » .

ويصف أسلوب التفاهم مع الأرواح التى التقى بها فيقول :

«كان التفاهم بين الأرواح يجرى بلغة عالمية . . وكل إنسان يعرف كيف يتحدث هذه اللغة بمجرد وفاته . . عندما يتم الحديث بين روحين ، لا يمكن للأرواح الأخرى الموجودة فى ذلك المكان أن تنصت إلى ذلك الحوار ، لأن الحديث يجرى بين الأفكار » .

وعن مشاهدته أحداث حياته السابقة بكل تفاصيلها :

«وتبدو الذاكرة المتميزة للحالة الجديدة ، وقد احتفظت بكل تفاصيل الحياة السابقة ، فى كل مرحلة من مراحل الحياة . . كل ما

فكـرنا فيـه ، وكل ما قلنـاه، وكل مـا فعلناه فى طفـولتنا وحتى لحظـة وفاتنا . . » .

وهنا أيضًا ، نرى فى كتـابات سويد ينبورج مطابقـة مثيرة للدهشة مع ما قاله أصحاب خبرة الأقتراب من الموت .

وإن الإنســان ليتسـاءل ، كيف تطــابقت هكــذا خبرات للبشر المعـاصرين ، مع أفكار أفـلاطـون مع تعاليـم كتاب الموتى عنـد أهل التبت، مع الكشف الروحى الذى تحدث عنه سويد ينبورج؟ . .

الفصل العاشر

التفسير العلمى
لظاهرة الخروج من الجسد

ما هو التفسير الذى يقدمه رجال العلم فى مختلف التخصصات لظاهرة الخروج من الجسد؟ . .

إذا بدأنا بالتفسير العلمى الطبيعى ، سنجد أنه يتفرع إلى عدة تفسيرات : تفسير يغلب أثر العقاقير ، وتفسير فسيولوجى ، وتفسير عصبى .

أما علم النفس فيفسر الظاهرة تارة على أساس العزل الحسى . وتارة أخرى على أساس الأحلام والهلوسة والتوهم .

التفسير بأثر العقاقير:

يرى البعض أن ظاهرة الاقتراب من الموت ، ترجع فى تفاصيلها إلى العقاقير العلاجية التى تناولها الشخص خلال أزمته الصحية . وهذا الرأى يحظى بحماس الكثيرين لعدة أسباب . على سبيل المثال ، هناك شبه اتفاق طبى عام على ما تحدثه بعض العقاقير الطبية من هلوسة (كما فى حالة عقار الهلوسة) . وأن بعض هذه العقاقير يحدث فى المخ بعض التأثيرات الشبيهة بما تكلمنا عن حدوثة فى تجربة الاقتراب من الموت .

وفيما يلى رواية تحكيها صاحبتها عما صادفته عند تخديرها طبيًا :

«حدث ذلك فى سنوات شبابى المبكرة . كنت فى عيادة طبيب الأسنان لحشو أحد أضراسى وعمد الطبيب إلى تخديرى بغاز أكسيد الأزوتوز (ما يطلق عليه الغاز المضحك) . كنت متخوفة من أثر هذا الغاز ، فقد خيل إلى أننى لن أفيق منه أبدًا . . وعندما بدأ المخدر يعطى تأثيره ، أحسست بنفسى أدور فى دوامه . . لم يكن جسمى هو الذى يتحرك ، بل كان مقعد طبيب الأسنان وأنا جالسة عليه ، يتحرك إلى أعلى حركة دائرية كالدوامة ، وبشكل متواصل . . !» .

«كان كل شىء مضيئًا ناصعًا وعندما وصلت إلى أعلى الدوامة ، هبطت الملائكة تقابلنى ، لتأخذنى إلى السماء . وفى نفس الوقت كنت أسمع صوت الطبيب وهو يتحدث مع الممرضة حول إنسانة أخرى يعالجها ، كنت أسمع حديثهما ، لكن بمجرد أن تنتهى الجملة لا أستطيع أن أتذكر أولها . كان صدى أصواتهما يتردد حولى متتابعًا . . صدى يبتعد شيئًا فشيئًا . وأتذكر أننى كنت أستمع إلى الصوت من أعلى . . كنت أشعر أننى فى موقع مرتفع عنهما . . » .

«خلال هذه التجربة لم أكن أشعر بأدنى خوف أو معاناة من فكرة الموت . . كنت فى ذلك الوقت من عمرى أخشى أن يكون مصيرى الجحيم ، ولكن عندما حدث ذلك ، لم يكن فى عقلى سوى فكرة واحدة ، وهى أنى ذاهبة إلى الجنة . ولقد عجبت فيما بعد ، كيف أن

فكرة الموت لم تخفنى ، وأرجعت ذلك إلى أننى وأنا تحت تأثير المخدر. .
لم أكن اهتم بشىء . . » .

ومع وجود بعض الاتفاق بين هذه التجربة وتجربة الاقتراب من الموت ، إلا أن تأمل التفاصيل يظهر أوجه الاختلاف الأساسية . . مثل الشعور بالسلام والسعادة ، كما أن تشخيصها لما مرت به ، يتأثر تأثرًا كبيرًا بتربيتها الدينية ، فالجنة إلى « أعلى » . . والكائنات التى تقابلها هى «الملائكة » . كما أنها لم تشاهد جسدها المادى ، ولم تشعر أنها فى جسد آخر من أى نوع . كل ما شعرت به أن مقعد طبيب الأسنان ، وليس هى ، هو مصدر الشعور بالدوران .

ومع هذا ، فتجربة التخدير التى نوردها هنا ، هى أقرب تجارب التخدير من ظاهرة الاقتراب من الموت . ذلك أن دراسة تأثير العقاقير المخدرة ، نخرج منها بروايات مختلفة اختلافًا جذريًا ، لا تتفق فى سماتها العامة ، مع ما نجده فى تجربة الخروج من الجسد .

وهناك الكثير من العوامل التى تحد من قيمة تفسير الظاهرة على أساس تأثير العقاقير المستخدمة . وأهم هذه العوامل ، هو أن الكثير من الحالات التى أوردناها ، لم تستخدم فيه أية عقاقير بعد الحادث . كذلك ، جرت الكثير من تجارب الاقتراب من الموت بعيدًا عن أية رعاية طبية ، أو إشراف طبى من أى نوع . وفى الحالات التى حظيت

برعاية طبية ، كانت العقاقير المستخدمة لا تتصل فى أغلبها بعمل الجهاز العصبى المركزى .

التفسير الفسيولوجى :

الفسيولوجيا هى أحد فروع علم الأحياء ، الذى يهتم بوظائف الخلايا والأعضاء فى أجسام الكائنات الحية ، وبالعلاقات المتبادلة بين هذه الوظائف . ومن التفسيرات الفسيولوجية الشائعة لظاهرة الاقتراب من الموت ، ما يقال . من أن سيال الأوكسيجين ينقطع عن المخ أثناء الموت الاكلينيكى ، وبعض حالات التوتر البدنى الحاد . وظواهر الاقتراب من الموت بما فيها الخروج من الجسد ، إن هى إلا عملية تعويض يقوم المخ المحتضر بها عندما يمر الشخص بمرحلة النزع الأخير.

وللرد على هذا ، نقول إن أغلب حالات الاقتراب من الموت التى أوردناها ، جرت قبل أن يحدث أى توتر فسيولوجى من هذا النوع . وفى بعض الأحيان لم تحدث أى جروح أو إصابات خلال التجربة .

تفسير طب الأعصاب :

طب الأعصاب هو التخصص الطبى الذى يتعامل مع سبب وتشخيص وعلاج أمراض الجهاز العصبى (المخ النخاع الشوكى

والأعصاب) . وطب الأعصاب قد يفسر ظاهرة الاقتراب من الموت بإرجاعها إلى خلل فى الجهاز العصبى للشخص . لكن دراسة الظروف المماثلة لمرضى الأعصاب ، تُظهر الفارق الواضح بين تجربتهم وتجربة الاقتراب من الموت ، رغم وجود بعض العناصر المشتركة . فنوبة المرض العصبى ، قد تجعل المريض يرى بعض مشاهد حياته السابقة . . لكن هذه المشاهد لا تجىء بترتيبها الذى نراه فى تجربة الاقتراب من الموت . كما أنها تتابع بسرعة تفقد المريض الإحساس بالزمن ، وبعيدًا عن أى جهد من جانبه لتأملها . وهذه المشاهد لا تمثل دائمًا الأحداث الهامة فى حياته . . ومن هنا تفقد قيمتها التأملية .

وتجربة الاقتراب من الموت ، قد تتشابه فى جانب منها مع ما يصيب مرضى الأعصاب من (هلوسة رؤية الذات) . فى هذه الحالة يرى المريض بأعصابه ، صورة لشخصه فى محيط رؤيته الطبيعى ، تقلد تعبيرات وجهه وحركاته لحظة بلحظة . . مما يسبب للمريض ارتباكًا شديدًا .

من الواضح أن هناك فوارق أساسية بين الحالتين . المريض العصبى يرى نظيره حيًا ، وفى كثير من الأحيان يراه أكثر منه حيوية . بينما فى تجربة الاقتراب من الموت ، يظهر الجسد بلا حياة . كذلك قد يسمع المريض العصبى نظيره يتحدث إليه ويملى عليه الكلمات . وبينما يرى الإنسان بعد خروجه من جسده ، ذلك الجسد

المادى كـامـلاً، يـرى المريض العصبى نظيره من الصـدر أو العنق إلى أعلاه فقط .

التفسير النفسى للظاهرة :

لم يصل علم النفس حتى الآن للـوضوح والتحـديد الـذى وصلت إليـه فروع العلم الأخـرى . فما زال علماء النفس ينقسمون إلى مـدارس متعارضة ، ووجهـات نظر متناقضة حـول طبيعة العقل . لهذا تختلف تفسيرات علـم النفس لظـاهرة الاقتراب من الموت بـاختلاف المدرسـة النفسية التى يتبعها من يتصدى للتفسير . ومن بين التفسيرات النفسية سنعرض أكثرها أهمية .

تفسير العزل الحسى :

أبحاث العزل الحسى ، تدرس ما يحدث للعقل والجسم عندما يتم عزل الشخص بطريقة أو أخرى عن أى اتصال ، اجتماعى أو حسى . وخـلال السنـوات الأخيرة جرى العـديـد من التجـارب ، فيما يـوضع الشخص فى خزان ماء له نفس درجـة حرارة الجسم مما يقلل الإحساس بـالوزن أو بـدرجة الحرارة ، وتغطى عينـاه ، وتسد أذنـاه، لتأكيد أثـر الخزان المظلم والذى يحجب الصوت . كما يجرى تثبيت حركة المفاصل بحيث لا تقـوى الأعضاء على الحركـة . . تحت هذه الظـروف ، وبعد

قليل من الزمن ، يبدأ الشخص فى ممارسة ظاهرة نفسية غير عادية ، وتتفق فى كثير من تفاصيلها مع ظاهرة الاقتراب من الموت .

كما قالت سيدة ، إنها عندما بقيت لمدة طويلة معزولة فى القطب الشمالى ، بدأت ترى مشاهد من أحداث حياتها السابقة . ويحدث أيضًا لبحارة المراكب المتحطمة الذين يمضون فترات طويلة فى قوارب الإنقاذ الصغيرة وسط المحيط أن يصابوا بنوع من الهلوسة يرون فيه أنفسهم وقد تم إنقاذهم . . وفى بعض الأحيان بواسطة مخلوقات خارقة كالأشباح أو الأرواح . وهذا أيضًا يحمل بعض الشبه بجزئية الكائن النوارنى التى تعرضنا لها من قبل .

أصحاب هذا التفسير يقولون إن الأشخاص الذين مروا بتجربة الاقتراب من الموت ، عادة ما يكونون قد أمضوا فترات طويلة فى حجراتهم بالمستشفى ، مما يضعهم فى ظروف قريبة من ظرف العزل الحسى والاجتماعى . كما يقولون بأن تجربة الاقتراب من الموت ، ممكن أن تفعل فى العقل ، ما يفعله خزان الماء الذى يعزل العقل عن مصادر الحس .

وفيما يلى واقعة تختلط فيها حدود ظاهرة الاقتراب من الموت ، بتجربة العزل الحسى . قال أحد الذين أمضوا فترة طويلة فى حجر مستشفى نتيجة لمرض شديد :

«اشتدت وطأة المرض علىّ ، وكنت أستلقى على سريرى فى

المستشفى ، فأرى صورًا تمر على نـاظرى ، كما لـو أنها كانت معـروضة على شاشة تلفـزيون . كانت الصور لأشخـاص ، وكنت أرى الواحد منهم كما لـو كان يقف فى الفضـاء على بعـد منى ليس بكبير ، ثم أراه يقترب منى . . ثم يمضى ويحل محله شخص آخـر . كنت واعيًا تمامًا بوجودى فى المستشفى وبمـرضى ، لكنى كنت فى غاية الانـدهاش مما أراه . وقد تعرفت على بعض الأشخـاص الذين ظهروا لى ، ولم أتعرف على الآخرين . وفجأة ، تحققت من أن جميع الذين تعرفت عليهم كانوا قد فارقوا الحياة . . » .

هذه التجربة قـد تتفق مع ما يحدث فى ظاهرة الاقتراب من الموت ، عندما يلقى الشخص بعض الذين مـاتوا من معارفه . . لكنها تختلف فى عدم تضمنها لأى تتابع آخر من الأحداث النمطية التى أوردناها فى أقوال من واجهوا خبرة الاقتراب من الموت .

مع كل المظاهـر المشتركة بين تجربة العزل الحسى وظـاهرة الاقتراب من الموت ، فإنـه من الصعب إقناع أحد بـأن الأخيرة ليست إلا مظهر من مظاهر العزل الحسى .

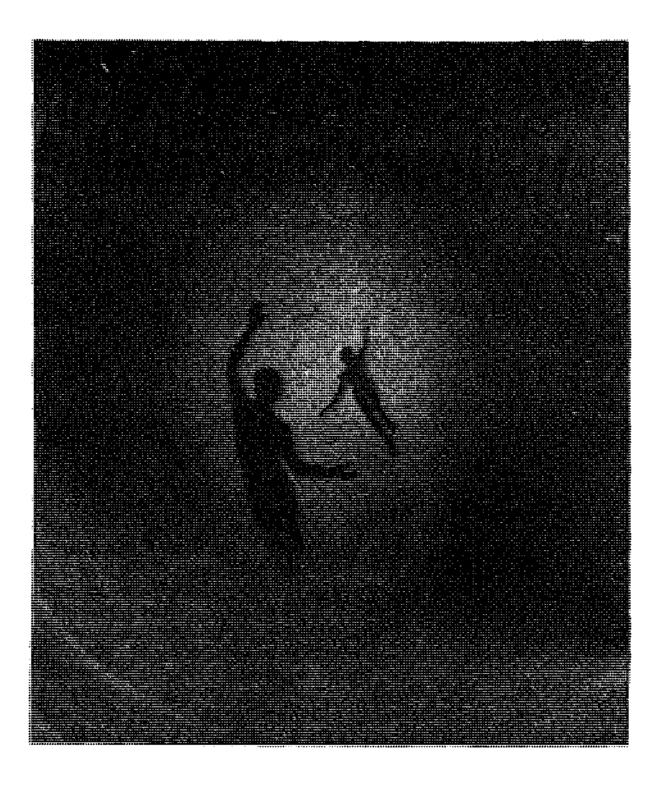
الأحلام والهلوسة والتوهم :

قد يرى البعض أن ظاهرة الاقتراب من الموت ، هى نوع من الأحلام التعويضية ، أو الخيـالات ، أو الهلوسة ، ترجع إلى عقـار من العقاقير

تعاطاه الشخص ، أو إلى نقص فى معدل الأوكسجين فى المخ . أو هى ناتجة عن عزل حواس الشخص عن محيطها . ومن ثم قد يستنتجون من هذا أن ظاهرة الاقتراب من الموت لا تخرج عن كونها نوعًا من أنواع التوهم .

أول ما يقف فى وجه هذا الافتراض ما لاحظناه من التشابه الشديد والنمطية الواضحة فى الروايات التى أوردناها عن الظاهرة ، مما يستبعد معه أن يصل توهم الأشخاص المختلفين فى ظروف مختلفة إلى مثل هذا الاتفاق . علمًا بأن الحالات التى عرضناها لم يكن بين أصحابها من أصيب بأى مرض من أمراض الذهان (المرض العقلى النفسى)، فقد كانوا جميعًا من الشخصيات الاجتماعية العادية ، يشغلون وظائف ومراكز هامة فى الحياة ، ويرتبطون بعلاقات عائلية سوية . كما أن معظمهم يمر بالتجربة أكثر من مرة واحدة فى حياته .

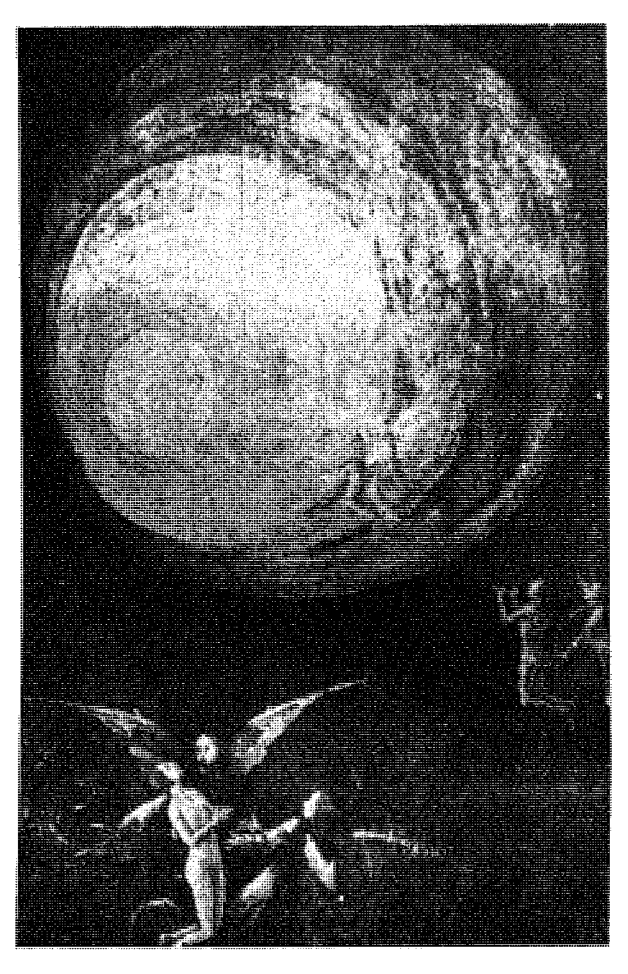
هكذا ، نتبين عدم جدوى تفسير هذه الظاهرة الغريبة خارج حدود إطارها . فكافة التفسيرات التى استعرضناها ، لا تعطى سندًا قويًا يتيح إخضاع الظاهرة لأى منها . ولهذا ، يمكننا أن نعترف بحقيقة منطقية ، وهى أن ظاهرة الاقتراب من الموت ، تمثل ظاهرة جديدة ، وتستوجب البحث عن أدوات جديدة فى تفسيرها .



جميع الذين اقتربـوا من حافـة الموت ، تكلموا عن الانجراف المنـدفع فيما يشبه النفق المظلم ، الذى يقود إلى عالم النور.

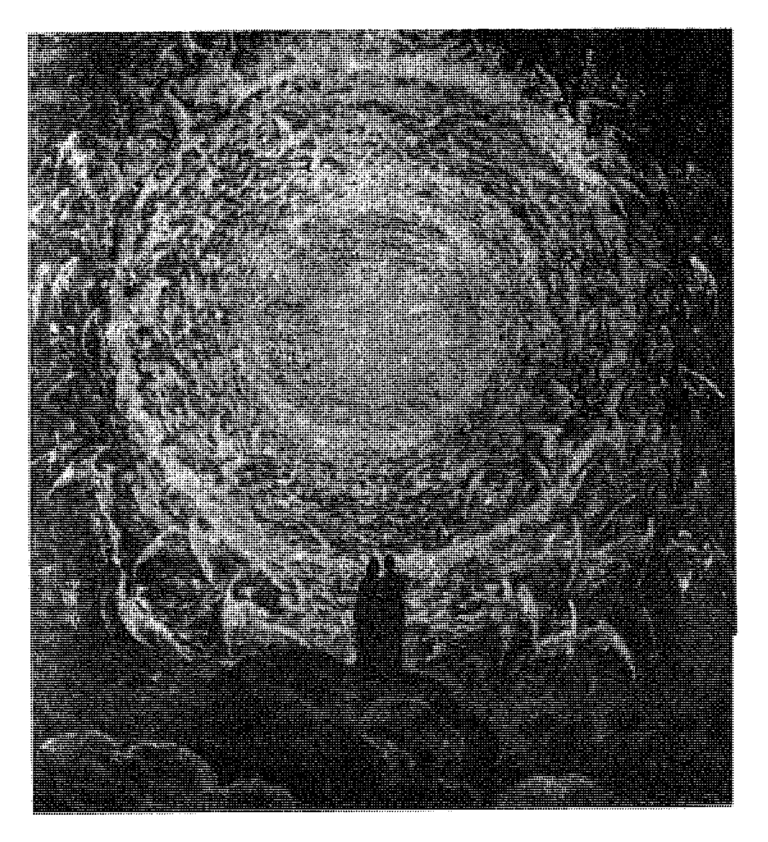
«بـا» أحـد ثـلاثـة كيـانـات روحيـة لـلإنســان وفقـًا للعقــائد المصريـة القديمة ، تحوم فوق جثمان الفرعون . وكانوا يعتقدون أن «با» تبارح الجسد أيضًا أثناء الأحلام .

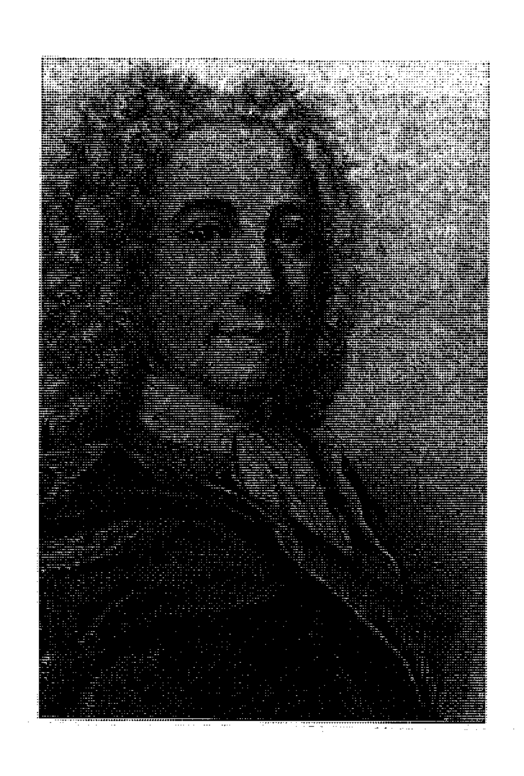




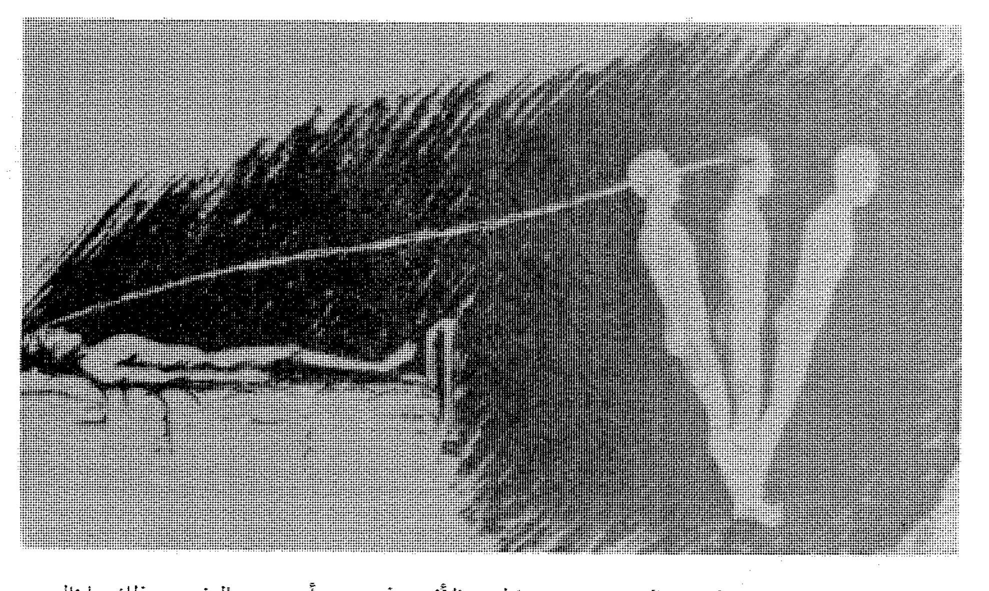
لوحة من أعمال الفنان بوش ، تصور الروح وهى تصل فى نهاية رحلتها الطويلة إلى الحقيقة الكلية العارية . فى هذه اللوحة مايشبه وصف الذين مروا بتجربة الموت الاكلينيكى .

لوحة أخرى من لوحات بـوش تصور رحلة دانتى فى دوائر الجحيم التسع ، ووصوله إلى النعيم برفقة بيـاتريس . . وهنا أيضًا اقتراب من وصف الذين اقتربـوا من حافة الموت .





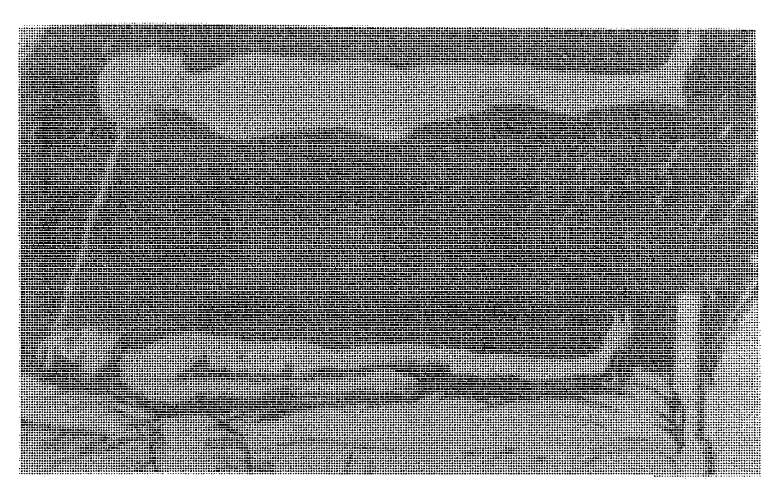
أمانويل سويدينبرج ، السويدى صاحب القدرات العقلية الخاصة، والذى حكى فى أواخر أيامه عن اتصاله بالعالم الآخر . من خلال تجربة الاقتراب من الموت .



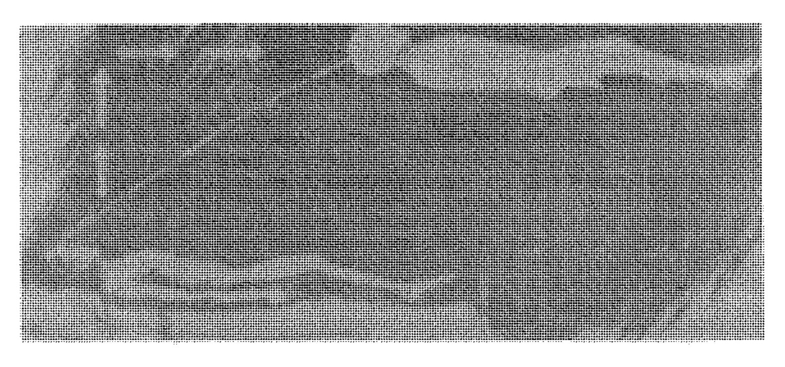
ضمن مجموعة رسوم سيليفان مالـدون ، يوضح الجسم الأثيرى فى وضع رأسى . وبالرغم من ذلك ما زال متصلاً بالجسم المادى عن طريق الحبل الأثيرى .



طريقة انجذاب الجسم الأثيرى إلى الجسم المادى . يقول مالدون أن هذه العودة إلى الجسم المادى تصاحبها أحلام السقوط من مكان مرتفع .



رسم يبين خروج الجسم الاثيرى من الجسد المادى ، رسمها مالدون وفقاً لتجربته الشخصية



الأسهم توضح مسار خروج الجسم الأثيرى من الجسد المادى . ويقول مالدون ان هذه المرحلة تصاحبها أحلام الطفو والطيران .

المراجع

(1) LIFE AFTER LIFFE,
R . MOODY - BANTAM.

(2) REFLECTIONS ON LIFE AFTER LIFE,
R . MOODY - BANTAM.

(3) RECOLLECTIONS OF DEATH,
M . SABOM - CORGI.

(4) VOICES OF DEATH,
E. SHNEIDMAN - BANTAM.

(5) BEYOND THE BODY,
S. BLACKMORE - PALADIN.

المحتوى

ظهر من سلسلة
« أغرب من الخيال »
للكاتب : راجى عنايت

سر الأطباق الطائرة	(طبعة ثالثة)
النبات يحب ويتألم	(طبعة ثانية)
الهرم وسر قواه الخفية	(طبعة ثانية)
رجل يعرف كل الأسرار	(طبعة ثانية)
٣٠ ظاهرة خارقة	(طبعة ثانية)
لعنة الفراعنة	(طبعة ثانية)
عجائب بلا تفسير	(طبعة ثانية)
التنجيم وتفسير الأحلام	(طبعة ثانية)
الإدراك الطليق	(طبعة ثانية)
الخروج من الجسد	(طبعة ثالثة)
أحلام اليوم حقائق الغد	(طبعة ثانية)
عجائب العقل البشرى	(طبعة أولى)
هذا الغد العجيب	(طبعة أولى)
أسرار حيرت العلماء	(طبعة أولى)
معجزات العلاج	(طبعة أولى)

رقم الإيداع : ٢١٥٨ / ٨٧
الترقيم الدولى : ٤ ـ ٠٧٧ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق
القاهرة ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب . ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣